أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

مدير المجلة
عبد الرحمن عيسى
العنوان
دار الجامع الأزهر بالقاهرة
تليفون ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

رئيس التحرير
محب الدين الخطيب

الاشتراك السنوي
٤٠٠ مليم في وادي النيل
٤٠٠ للطلبة وادي النيل
٣٠٠ للعلماء والمدرسين بالوادي
٥٠٠ خارج الوادي
٣٠٠ للطلبة خارج الوادي
٤٠٠ للعلماء والمدرسين خارج الوادي

الجزء الرابع - القاهرة : ربيع الآخر سنة ١٣٧٨ - أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٥٨ - المجلد الثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

ذروة الحق

« الحق » من الله . . .

وهو أحد شطرى الإسلام الذى تتفرع عنه المجموعة الكبرى من أوامره ونواهيه ، وهى من شعب الإيمان به . وشطره الثانى الخير ، ويسمى بلغة الإسلام « الإحسان » ، وله فى مجال التطبيق مدلول أدق وأجمل وأوغل فى محيط الإخلاص مما يتبادر إلى الذهن فى بادى الرأى . . .

والحق وصية الله إلى الإنسانية فى كل نظام قامت به ، وفى كل ما يتعامل به الأفراد والجماعات : ما يتنازعون فيه ، أو يتعاونون عليه .

وما من رسول بعثه الله إلى الإنسانية لتوجيه أبنائها إلى الحق ، وتسديد خطاهم نحو الخير ، إلا كان الإيمان بالحق والإحسان فيه ، جوهر رسالته .

والإسلام نفسه دين الحق ، « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق » .

لذلك اعترف الاسلام برسالات الله السابقة كلها ، واعتبر ما صح منها فى مجموعه إسلاما ، لأنها رسالات الحق ، والحق كل لا يتجزأ .

« وبالحق أنزلناه وبالحق نزل » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والإنسان يسير فى طريق الكمال ما أحب الحق ، وكان من أوليائه ، ووطن نفسه على تحريه ، والإذعان له ـ برضا وطمأنينة ـ فى السر والعلانية ، والدعوة إلى إقامته ، بشرط أن يكون حقا فى الواقع ، واضح المعالم وضيء القسمات ، و« إن الظن لا يغنى من الحق شيئا » .

وذروة الحق ، ومفتاح السعادة ، الإيمان بالله . . .

« ذلك بأن الله هو الحق » .

والطريق السليم إلى معرفة الله والإيمان به إطالة النظر فى بدائع خلقه . وعجائب صنعه ودقائق أنظمته فى ملكوته « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

هذا هو طريق القرآن إلى ذروة الحق ، إلى معرفة الله ، إلى الإيمان به . وهو غير طريق الفلاسفة : الفلاسفة اليونانيين فى الدهر الأول ، وفلاسفة الغرب فى أوربا وأمريكا فى العصور الأخيرة . وهو كذلك غير طريق الفلاسفة البرهميين والصوفيين ، والمتأثرين بهم من قدماء ومحدثين . إن طريق الفلاسفة ـ من هؤلاء وأولئك ـ لا تؤدى إلا إلى هاوية الجحود ، أو إلى الإيمان بوحدة الوجود . ولا معنى لوحدة الوجود إلا الإيمان بأن الكون هو المعبود ، وأن الله غير موجود . . .

هذا هو الجحود المقنع عن أهل العمى ، والجحود السافر لذوى البصائر . والمصير بعده إلى جحيم من الأوهام تتيه فيها العقول ، وتضيع الأعمار سدى بعد أن يكون أهله قد خسروا الدنيا والآخرة . وقديما قال أحد أعلام المنحرفين عن أساليب القرآن ، إلى أساليب البراهمة واليونان ، بعد أن أوغل فى هذا التيه عشرات السنين :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها ... وسرّحت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر ... على ذقن . أو قارعاً سن نادم

أقول هذا وقد تلقيت فى هذا الشهر كتابا من أحد شباب الإسلام ، شاب دمشقى تخرج بتفوق مرموق من الجامعة السورية ، وقد كتب إلىّ يشكو قلقا فكريا انتابه فى المرحلة الأولى من طريق البحث عن البراهين الكلامية لوجود الله ، قال : « . . . وتركت دراستى ، ومضيت وراء كتب العقائد ، أقرأ البراهين .. فإذا رأيت البرهان الحق ذرفت الدمع سروبا ورحت أمضى فى القراءة والمناقشة حتى أصبح النقاش والجدل كل شىء فى حياتى . . . . » ، قال : « ومع مرور الأيام وتتابع الليالى بدأت أشعر أن السفينة التى غادرت المرفأ وتاهت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الظلمات ، قـــد بدأت تعود شيئا فشيئا نحو الشاطىء » ، وذكر أسباب ذلك ثم قال : « وبين الفينة والفينة كنت أجد نفسى منساقة مع هواها للنقاش والجدل .. ولكن شتان ما بين الحالين . . غير أنى لا أكاد أصلى حتى أشك هل صليت ثلاثا أم أربعا . وهل قرأت الفاتحة أم نسيتها . . . . .

إن الصراع بين الإيمان والجحود من أمراض التعليم المنحرف فى كل زمان ومكان . ولعله فى زماننا . وفى التعليم الذى رسم لنا الغرب خطوطه فى المعاهد والجامعات التى تتلقى عنها ثقافاتنا ومعارفنا ، أفظع مما كان فيما مضى . وما شكاه إلينا هذا الشاب الجامعى المسلم قد يكون كثيرون غيره من أبنائنا يشكونه كشكواه ، أو بألوان أخرى . وقد شعرت وأنا أقرأ كتابه بأنى أمام واجب إسلامى يحملنى على التحدث بهذا الموضوع ، لا لأنى أكثر علما بما ينبغى لى التحدث فيه . بل لأنى فى سن اكتسبت فيها بعض التجربة مما مر على فى نفسى ، وفيمن لقيتهم واتصلت بهم فى عشرات السنين .

قبل نحو ربع قرن ، قضيت بعض ليلة من ليالى العشر الأخير من رمضان ـ وكان ذلك سنة ١٣٥٣ ـ فى حديقة تزدان بالورد والزهور ، فكنت أقلب وجهى فى الفلك الأعظم تارة ، وأراجع تاريخ حياة وردة كانت أمامى تارة أخرى . لقد رأيت فى تلك الليلة ـ من وراء بدائع صنع الله ـ بدائع فى نظام خلقه يكاد قليل مانعرفه من أسرارها يبهر عقول العقلاء منا ، فتخر الجباه خاشعة لبديع السماوات والأرض . . .

فكرت فى نسيج الوردة القائمة أمامى على غصنها تسبح بحمد الله خالق الأزل والأبد وما بينهما من ملايين الدهور ، ورحت أحلل فى ذهنى دقائق نسيجها ، وأتذكر ما كنت تعلمته فى المدرسة عن ملايين الذرات والخلايا التى تتألف منها أنسجة الوردة ، والحياة المستقلة والمتضامنة التى تحياها الخلايا فى غذائها ولقاحها وحملها وولادتها إلى أن تموت . ورجعت إلى تاريخ الوردة أستعرض سيرة أجدادها ، والصفات التى تتوارثها أمة الورد نسلا بعد نسل ، والمواهب التى تكتسبها بعض هذه الأنسال من بيئاتها ومصاهراتها ، وتأملت فى استعدادها للنمو والتوليد ، وفى تذكرها أصولها . ورجوعها إلى سابق صفاتها وألوانها بعد طروء التطورات الجديدة عليها ، وكيف تسير فى ذلك كله على أنظمة هى غاية فى الدقة ، وأوضاع فى منتهى الحكمة ، فوقعت ساجداً ذليلا لعظمة البارئ الحكيم . . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كانت ليلة مباركة خشعت فيها لمقدر أنظمة الوجود والفناء فى صنوف كائناته الأرضية : من أمم الجراثيم ، إلى عوالم النبات والشجر والثمر ، إلى طوائف الحيوان من زواحف ودواب وسابحات وطائرات ... هذا كله فى كوكبنا الأرضى ، وهو نجم صغير حقير فى كون واحد من ملايين الأكوان الدائرة فى أفلاكها بنظام دقيق ، ومقادير محددة ، وأبعاد معينة ، وحركات مؤقتة ومتقنة . وكل هذه الأجرام الهائلة المخيفة الهاوية فى مداراتها ، والقاذفات بشررها ، والمسافرة أشعتها سفراً أسرع من البرق فى رحلات تستمر عشرات السنين بين مصدر تلك الأشعة ومواقع أضوائها وظلالها ، فكيف بالتدبير الإلهى لمجموع مخلوقاته !...

وتساءلت ، بعد ذلك عن الحياة ، وكيف وجدت فى كون كان سديما وغازاً . ثم اشتعل السديم والغاز ملايين السنين فكان شموسا كشمسنا وهى جحيم متأجج ، ثم بردت الأجراء الصغيرة منه بصقيع الأجواء التى تتروح فيها فصارت جمادا . فكيف نشأت فى الجماد الحياة حياة الوردة ، وحياة الهرة ، وحياة النحلة ، وحياة الببغاء ، وحياة السمكة ذات الخراشيف اللامعة ؟ كيف تحولت تلك السدم والغازات والمواد المتأججة فكانت منها هذه الأحياء اللطيفة !

أليس هذا من تقدير البارئ العظيم ، القادر الحكيم ؟

جماد كان ناراً تتلظى ، ثم دبت فيه الحياة اللطيفة بعبق الورد والزهر وألوانهما وبحركات الهرة والنحلة والببغاء وأصواتها ؛ أيوجد هذا كله بلا موجد ، ويخلق من غير خالق ؟ !

وهذه الجاذبية بين أجرام السماوات ، نحن نسميها جاذبية ، ونعلل بها وجود أجرام الأفلاك الهائلة معلقة بأثقالها ومعادنها وجبالها وبراكينها فى الفضاء تسبح بنظام دقيق ، وبدا سيارات العقلاء منا تصطدم وتتحطم بركابها فى ميادين القاهرة وشوارعها ، نرى سيارات السماء ـ وهى جماد لا يعقل ـ آمنة من أن تصطدم فى أفلاكها ومداراتها !

بربك أيها الفلك المدار أحق ذا المسير أم اضطرار
مسيرك قل لنا فى أى شىء ففى أذهاننا منك انبهار

نحن نسميها جاذبية ولا نرى منها إلا آثارها . فهل وجدت بين الكواكب وكتل

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لأجرام بأثر الصدفة والاتفاق ، أم هى خلقت نفسها ، أم أنها وجدت ورسمت لها أنظمتها بقدرة الله المشهودة التى نعمى عنها ونبحث فى كتب الفلاسفة والمتكلمين عن براهين جدلية وجود الله وأدلة قدرته ؟ !

إن الذى لا يستدل على الخالق بالنملة والنحلة والوردة ، سيبقى أعمى عن الاستدلال عليه بأنظمة الفلك الأعظم ، وعن سبب وجود الحياة فى الأحياء على أرض هم يقولون إنها كانت جزءا من الشمس انفصلت عنه ، وإنها كانت حتى بعد انفصالها عن الشمس نارا ملتهبة ، ثم بردت ، ثم وجدت الحياة فيها ، حياة النبات والحيوان ، فهل هذه الحياة كانت كامنة فى مادة الأرض الملتهبة ، ومن ذا الذى جعلها كامنة فيها يوم كانت ناراً ؟ ومن ذا الذى أبرزها من النار فأحيا بها هذه الكائنات الحية ؟ .

لقد كان سلفنا الأول على صواب حين التزموا طريقة القرآن فى الاستدلال على الله ببدائع خلقه ، وكانوا يكرهون فلسفة اليونان النظرية العقيمة وما اقتبسه منها المعتزلة والإسماعيليون وسائر الفرق التائهة فى ظلمات الجدل والمراء والأوهام أيام دولة بنى العباس. وكنا نحن فى غنى عن هذه الفلسفة بما نشاهده فى ملكوت الله الأعظم وما تتلو فيه من آيات لله ظاهرة باهرة .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى فى كتاب العلم من إحياء علوم الدين ، فى معرض الكلام على « التوحيد » وما طرأ على هذا اللفظ من تحريف :

« وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ، ومعرفة طريق المجادلة ، والإحاطة بطرق مناقضات الخصوم ، والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة ، وإثارة الشبهات ، وتأليف الإلزامات ... مع أن جميع ماهو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شىء فى العصر الأول ، بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة . فأما مايشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التى تسبق الأذهان إلى قبولها فى أول السماع ، فلقد كان ذلك معلوماً للكل ، وكان العلم بالقرآن هو العلم كله ، وكان « التوحيد » عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين ، وإن فهموه لم يتصفوا به » .

ومن العجيب أن أبا الحسن الأشعرى رحمه الله ، بعد ما اضطر إلى مجادلة المعتزلة بأقيستهم وقواعدهم ، عدل عن ذلك فيما بعد ، وختم الله له حياته المباركة بالرجوع إلى طريقة القرآن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى كتابيه : (مقالات الإسلاميين) و (الإبانة) وهما من آخر ما ألفه فى الدور الثالث من حياته بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد[١] ، فرجع هو عن طريقة الفلاسفة والمتكلمين ، ولا يزال المنتسبون إليه متمسكين بما عدل هو عنه مع زوال الضرورة التى حملته على طريقته الأولى ، وقد أدى هذا اللون من الجدل ومناقضة الخصوم ـ غير الموجودين الآن ـ إلى اضطراب الأفكار ، كالذى وقع للشاب الفاضل الذى أفضى إلينا بشكواه .

وعجيبة أخرى أن أحد شيوخ الأزهر السابقين قال فى كتابه (العلم والعلماء ونظام التعليم) ص ١٤٠ - ١٤٤ وهو يتكلم عن تعليم علم التوحيد : « إن أكثر الخلافات لا حقائق لها ، وإن حقيقة الأمر فى الدين الإسلامى أسهل وأبسط من هذه التحقيقات والتدقيقات ، ولا تحتاج إلى مثل هذه المشاغبات والخلافات التى قد يكون موضوع أكثرها مما لا يضاد الدين الاعتقاد فيه بإيجاب أو سلب ، أو عدم اعتقاد أحدهما ، أو مما لا يجوز الخوض فيه ، ولا تكليف العقل معرفته » إلى أن قال : « وحسبنا دليلا أنه غير معهود فى زمن الرسول ، بل وفى القرآن . والغرض إنما هو حصول الاعتقاد الجازم من وجهة ثابتة مقدورة للناس » .

وموضع العجب فى ذلك أن مقرر هذه الحقائق لما تولى مشيخة الأزهر بعد ذلك مدداً طويلة لم يحاول العمل بها ، وتعديل مناهج التدريس على ضوئها ، ولو فعل لقطعنا شوطا طويلا فى الرجوع إلى طريقة القرآن فى هذا الأمر العظيم الذى هو ذروة الحق .

كنت فى طفولتى أسمع من والدى رحمه الله كلمة حكيمة وهى : تفكروا فى خلق الله ، وفى آلاء الله ، ولا تتفكروا فى ذات الله ، ثم رأيت من يذكر أن هذا حديث ، لكن سنده ضعيف ، على أن معناه صحيح ، فإن التفكير فى ذات الله من صميم الغيب ، وعلم الغيب لا ينال بالفكر ولا بالعقل ، بل بالنص عن المعصوم . وإقحام العقل فى غير ما دل عليه النص خروج به عن دائرة عمله ، وما أحسن قول إمام الحرمين أبى المعالى الجوينى فى هذا الموقف وهو جد خبير به :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية آراء الرجال ضلال

---

[١] انظر لتحقيق ذلك مقالة « الأشعرى ومراحل تطوره الفكرى » فى ص ٢٩ ـ ٣٠ من هذه المجلة م ٢٦ سنة ١٣٧٤ ، ومقالة « آخر مراحل الأشعرى » فى ص ٣١ ـ ٣٣ من تلك السنة ، وانظر أيضاً ص ١٠٩٤ ـ ١٠٩٦ من هذه المجلة م ٢٥ سنة ١٣٧٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وعلى ذكر إمام الحرمين والموضوع الذى نحن فيه كنت قرأت فى شذرات الذهب نقلا عن المناوى فى شرحه على الجامع الصغير أن أبا جعفر محمد بن الحسن الهمدانى سمع أبا المعالى - يعنى إمام الحرمين - يقول : قرأت خمسين ألفاً فى خمسين ألفاً ، ثم حلبت أهل الإسلام ، وركبت البحر الخضم ، وغصت فى الذى نهى أهل الإسلام عنه - لعله يعنى التأويل والفلسفة وعلم الكلام - كل ذلك فى طلب الحق ... والآن رجعت إلى كلمة الحق : عليكم بدين العجائز فإن لم يدركنى الحق بلطفه وأموت على دين العجائز وتختم عاقبة أمرى على الحق وكلمة الإخلاص . وإلا فالويل لابن الجوينى .

أعظم ما أضر المسلمين فى دينهم ، وحولهم عن أساليب القرآن إلى أساليب اليونان هو علم الكلام الذى كان من علم المعتزلة ، وجاراهم فيه علماؤنا ليردوا عليهم بأساليبهم وأقيستهم . وكان ذلك ضرورة تقدر بقدرها . وقد زالت الآن هذه الضرورة وتحولت إلى ضرر كالذى وصفه لنا عن نفسه كاتب الرسالة التى أشرنا إليها . ونصيحتى إلى كل مسلم أن يأخذ إيمانه واعتقاده من نصوص كتاب الله وسنة رسوله ، وما يتعلق من ذلك بالغيب يؤمن به على مايليق بكمال الله عز وجل وبما ورد : لاينقص منه ، ولا يزيد فيه ، متبعا طريقة القرآن فى الاستدلال على الخالق ببدائع خلقه .

والذى ضربت به الأمثال آنفا من بدائع خلق الله ينطوى على حق هو من الله ، ويدل على عظمة الله وجلال كماله . فهذا الحق الثابت إذا اعتاد العقل السليم الاعتماد عليه فى تكوين العقيدة كان قلعة حصينة من قلاع الإيمان الإسلامى . وأنا ما تفكرت مرة فى مكانة المخلوق من الخالق إلا سارع فكرى إلى « الحياة » وأنها من أهم ما تدل به المخلوقات على خالقها . وسارع كذلك إلى ما نسميه « الجاذبية » وأنها الدليل العلنى الصارخ بقدرة الله على إطلاق هذه الأجرام السماوية الهائلة تسبح فى الفضاء غير محمولة على شىء وهى تجرى فى نظام دقيق رهيب : « فالق الإصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسبانا » ، « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » . « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل » ، « وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى » ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ، ولا الليل سابق النهار » .

وأسماء الله وصفاته نؤمن بها كما وردت من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل . وهذه الأسماء والصفات تدل على معانى يجب على المسلم أن يتعبد بالإيمان بها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وبالعبودية لله من ناحية المعنى الذى يدور عليه كل اسم من أسمائه عز وجل ، وكل صفة من صفاته .

فالواحد منا ينبغى له أن يتأثر بصفات الله العليا فيجعل من عبادته لله المتصف بها احترامها والتعامل بها مع الناس ، فإذا تصور اسم « الرحمن » و « الرحيم » كان من عبادته لله الرحمن الرحيم طلب رحمته بالقيام لخلقه بما يستطيعه من رحمة للإنسان ورفق بالحيوان .

وإذا تصور اسم « الحكيم » كان من عبادته لله الحكيم أن يتدبر حكمته الإلهية فى مخلوقاته ويحاول الوصول إلى علم ما يمكن عليه منها . ولو تحرى المثقفون والمشتغلون بالعلوم الطبيعية والكيماوية الوقوف على سرائر حكمة الله فى الأشياء ، واعتبروا ذلك من ألوان عبادة الله الحكيم ، لسبقوا الأمم إلى إدراك مصادر القوى وكنوز الخير مما يبلغون به وتبلغ به أمتهم سعادتى الدنيا والآخرة .

وإذا تصور الواحد منا اسم « الحي » المأخوذ من قول رسول الله صلوات الله عليه « إن الله حي يستحى من عبده إذا مد يده إليه أن يردهما صفرا » كان من عبادته لله الحي أن يتطبع ما أمكنه بهذا الخلق العظيم ، فإن الحياء من الإيمان . والتعامل بين الناس بالحياء من أعلى مراتب الأخلاق الإنسانية .

وإذا تصور اسم « الحليم » كان من عبادته لله الحليم أن يمرن نفسه على الحلم وسعة الصدر وعلى التعامل مع الناس بهذا الخلق الكريم ، حتى يتأثر به كل من يتأسى به من ولده وأهله وزملائه ومواطنيه ، فتسرى عدوى ذلك فى الأمة ، ويكون للحلم أثره فى سعادة المجتمع .

وإذا تصور اسم « الصبور » كان من عبادته لله المتصف بهذه الصفة العليا احترامها ، والتعامل بها ، وتوطين النفس عليها . وقد نص كتاب الله على أن التواصى بالصبر عديل التواصى بالحق ، وذلك من بواعث النهوض بالمستوى الاجتماعى إلى المراتب العليا .

وإذا أحصى المسلم أسماء الله الحسنى وصفاته العليا على هذا الوجه ، وأصبح ذلك خلقاً فيه ، وديدنا له ، وسنة يتبعها فى معاملته للناس ، تحت فينا البشارة الكريمة : « إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة » . وما أوسع أبواب الجنة لمن يعرف الطريق إليها ، وهذا النوع من المعرفة من أعلى أنواع المعارف التى يجمل بالمسلم الحكيم أن يتحلى بها ، وأن يتهز كل فرصة لتعميم العلم بها بين الجماهير ، وإن لذلك ما بعده إذا شاء الله . . .

محب الدين الخطيب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نفحات القرآن

— ٦٤ —

خير مايوصف به الحديث أنه صدق ، وعدل
وكلام الله فى الأوج الرفيع من ذلك .

(ا) وتمت كلمة ربك: صدقا . وعدلا ، لامبدل لكلماته، وهو السميع العليم .
(ب) وأن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله .
(ج) إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون .

إذا وضح الكمال فى شىء فهو جدير بالقبول ، وشأنه الإجلال ، والانتفاع به فى كل ما يتعرض له ، فإذا كان الشىء على كماله ، ولم يصادفه ما هو جدير به من حسن التقدير ، فالعيب عيبنا . والنقص فى مداركنا ، ولا يضير ذلك الشىء الكامل أن نصدف عنه . فإن الحق ناهض بطبيعته ، والباطل زهوق لخسته .

ومثل هذا واضح فى القرآن الكريم ، وموقف الناس منه .

فقد جاء القرآن فى روعته ، وقوته فوق متناول البشر جميعاً .. ومع هذا لقى من المعارضة ، وعنف الخصومة كل ما استطاعه خصومه النافرون منه ، والمنفرون عنه .

وظلت قوة القرآن بسلطانه الروحى تشق طريقها فى بيئات معادية له ، وتركز دعوته على أنقاض المناوئين له ، وهم كثيرون فى كل زمن ـ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ـ

وفى صدر الآية الأولى أربع كلمات تكفى للإقناع بأن القرآن بلغ المبلغ الأعلى من القداسة .

وكان جديراً بالناس أن يجنحوا إليه ، لولا أن العقول فى لوثة من التقاليد الباطلة ، فجاءت الآية الثانية للتنصيص على أن زهادة الزاهدين فى القرآن ليست لعيب فيه ، بل لإسفافهم فى الاختيار ، وقصورهم عن التمييز ، وسيرهم وراء الظنون ، والشبه التى تسد منافذ الصواب أمام المدارك والمواهب .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى الآية الأولى يقول تعالى : (١ — وتمت كلمة ربك - ٢ — صدقا - ٣ — وعدلا - ٤ — لامبدل لكلماته) وكلمة ربك : هى القرآن ، ويقرؤها البعض - كلمات ربك - فقد وصفت بالتمام ، وأضيفت إلى لفظ الرب ، وفى هذا مقطع الشكوك ، ومثار الإيمان لمن أنصف نفسه .

وحيث كان التمام فى كلمات الله فهى وافية بكل غرض ، وسامية عن كل باطل ونقص ، وكفيلة بكل خير ، وهى أرقى من أن تعلق بها الشبه التى يحاولها المتنكرون للقرآن .

ثم يأتى وصف ثان وثالث بأنها صدق وعدل .

وذلك إفصاح بما تضمنه الوصف بالتمام ، وإعلام لنا بأن قداسة القرآن ليست فى مجرد نسبته إلى الله ، فإن الخصوم لايعترفون بذلك .

بل قداسته ذاتية كذلك ، لما وضح فيه من صدق وعدل ، فكله حق ، وتشريعه رفق ، وهو فى جملته وتفصيله ، رحمة بالناس ، وتيسير عليهم ، وتوجيه لهم ، يذال ماتعقد ويبصرهم بما خفى ، ويرافقهم طول الحياة ، وفى السراء ، وفى الضراء - لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه - لأنه - تنزيل من حكيم حميد - وهذه صفات يعهدها المخالفون ، فقد بما عاندوا ، وأسرفوا فى التحدى ، وحاولوا ما استطاعوا أن يخدشوا كماله ولم يظفروا بحجة ناهضة ، ولا معذرة مقبولة .

فالقرآن موصوف بصفات مستقرة فى نفوسهم ، وإن لم تكن على ألسنتهم . ثم جاء الوصف الرابع - لامبدل لكلماته - ليسجل عليهم العجز عن مقاومته ، وليقرر أنه غير قابل التبديل أو التحريف ، كما ابتليت بذلك كتب سابقة مع ماكان لها من قداسة .

ولكن هذا هو الكتاب الأخير ، وهو منهج الناس فى حياتهم ، حتى يتجاوزوها إلى الحياة الآخرة . فحرامه وحلاله وكل مافيه من وعد ووعيد غير قابل للتبديل .

وكيف وقد استقر على تمامه فى الكمال ؟ ؟ .

وغير خاف أن خصوم القرآن يئسوا من العبث به ، ويئسوا من المساس بنصوصه ومعانيه وإذا كانت شبه المارقين ، وتخلفات الغافلين باقية ، وواقعة ، وسارية فى أوساط عدة فليس ذلك كما قلنا عيباً فى القرآن ، بل هـــذا تحقيق لخبر القرآن نفسه فى الآية الثانية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(ب) وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله .

فالناس فى عماية عن أخبار الغيب ، وفى عماية عن أخبار عالم الشهادة ، وهم يسمعون وينسون ، ويشاهدون ويتعامون ، وهم عند النوازل يفيقون ويتذكرون ، ثم يعودون إلى ما ألفوا ، ويأخذون فيما تعودوا .

والذكرى لا تنفع الجميع ، وإنما تنفع المؤمنين المستجيبين للدعوة .

وكان خصوم القرآن يطمعون أحيانا فى مطاوعة النبى لهم ، والسير فى مزاعمهم ويجهلون أن الله عاصمه من باطلهم .

ولذلك جاءت الآية الثانية كما جاءت آيات أخرى تنبه إلى رعاية الله لنبيه من كيدهم ، وتنبه إلى أن أكثر الناس فى ضلالة وجهالة ـ وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون ـ وانظر تجد أن المؤمنين فى الدنيا قلة بجانب كثرة غير مؤمنة ، ولكنها قلة راشدة ناجحة . وتلك كثرة خاطئة خاسرة .

وهذا شأننا فى كل محيط نزل به ، وكل فئة نقلب النظر فيها ، وكأن الله تعالى يسوق إلينا هذه المقابلات بين فريق هداهم ، وفريق أضلهم لنحمده على ما تفضل به من الإيمان ، ولنطمئن إلى أن كتابه محفوظ وإن تألبت عليه الأمم المعادية له .

وكفانا ثقة فى وعده أنه القادر على كل شىء ، وسيظل الكتاب العزيز خفاق الراية ، وارف الظلال فى حراسة الله الذى أنزله ، وقال : « إنا نحن نزلنا الذكر ، وإنا له لحافظون » وقال : « لا مبدل لكلماته . وهو السميع العليم » .

وبعد : فقد يمر بالخاطر أن الناس فى شغل شاغل عن متابعة دينهم ، وأن بعضهم أو أكثرهم لا يرون للتدين أثراً فى أعمال الدنيا ، ولا يدركون حكمة للحض على الاتصال بالدين والاهتداء بتوجيهاته .

وهذه خواطر قوية ، تساور أصحاب القلوب الحية . فهم يأسفون لانحراف الكثرة من الناس عن حوزة الدين ، واشتغالهم بالتنافس فى المجال المادى .

وكان النبى ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ أشد الناس حدباً على أمته ، وحرصا على هدايتها ، حتى كان شغفه باجتذابها إلى الطاعة ينال من نفسه ، ويذهب براحته .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فكان ينزل عليه القرآن ليخفف عنه وطأة الأسف ، ويصرف عنه مشغلة الهم الذى يساوره ويقول له : « إنك لا تهدى من أحببت ـ إنما أنت منذر ـ إن عليك إلا البلاغ ـ فذكر إنما أنت مذكر ، لست عليهم بمسيطر » .

ومن هذا يتضح أن الله تعالى بين للناس على لسان رسوله ما بين حتى لم يدع لهم معذرة يلتمسونها لأنفسهم ، ولا حجة يتشبثون بها عن مخالفتهم .

وتركهم لعقولهم ، واختيارهم ، ثم هو محاسبهم بعد ذلك على مثقال الذرة من الخير والشر ، ولكن الناس ظلوا فى دنياهم مدفوعين إلى اجتلاب ما يجتلبونه من كسب وادخار للحياة الدنيا ، وفقدوا إحساسهم بحاجة الروح والقلب إلى التهذيب والتربية والاستعداد للحياة الآخرة ، وهم فى هذا الاتجاه الملتوى عن الرشد يتعلقون بظنون واهية والظن لا يغنى من الحق شيئا .

فمنهم من يسير فى تقديره للدين وراء حدس وتخمين ، ويحسبون أن الله غير معذبهم لأنهم على حق فيما ركنوا إليه كما ركن إليه آباؤهم من قبل ، وهؤلاء هم الكافرون الأولون .

ومن الناس من يعتقد أن الله غفور رحيم ، وأنه ما دام كذلك فسوف لا يحاسب ولا يعذب . ومنهم من يسرف ويعصى ثم يأمل أنه سيتوب فيما بعد ، وينجو من الحساب بسبب توبته ، وكأنه واثق أنه يعيش ، وأن التوبة فى متناوله فى أى وقت ، وأن الموت لن يباغته يوماً ، وتلك كلها ظنون باطلة ، وتقديرات وهمية ، وآمال ذاهبة أدراج الرياح . وهناك حق لا ينبغى العدول عنه ، وهو أن يستجيبوا ، ويعملوا ويحتاطوا وأن يقدروا ما يخشونه من موت مفاجئ ، وحساب عسير ، ولكنهم لم يفعلوا ، ومن أجل ذلك سجل الله عليهم هذه الغفلة بقوله فى شأن الجميع .

« إن يتبعون إلا الظن وإنهم إلا يخرصون » .

فهذا تشنيع على المتعلقين بالظنون والمبالغين فى الخرص ، وهو التخمين والتغرير بالنفس وإهمال ما فى الآيات من العظات .

والله نرجو أن يهبنا رشدا ، وتوفيقا ، وأن يجنبنا الظن الخاطئ .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السنة

العين حق

من اللطائف النبوية ـ المقياس الرشيد فى عالم الغيب ـ رواية الثقات شافيـــة ـ الطب مادى وروحى ـ أثر العين الحاسدة ـ الرقية المشروعة .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : العينُ حقٌّ . ونَهَى عن الوشم . « رواه البخارى »

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : العينُ حقٌّ . ولو كان شىء سابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْه العينُ ، وإذا اسْتُغْسِلْتُمْ فاغْسِلوا . « رواه مسلم » [١]

* * *

اتفق الشيخان على الشطر الأول من الحديثين ؛ وانفرد الإمام أبو عبد الله البخارى بما ضم إليه من النهى عن الوشم ، وإن كانا متفقين على حديث لعن الواشمة والمستوشمة . وحسبك ما فى اللعن من الوعيد وبليغ النهى ! وانفرد الإمام أبو الحسين مسلم بما ضم إليه من توكيد الإصابة بالعين ، ومن بعض علاجها المادى . وفى رواية للإمام أحمد : العين حق ، ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم . ولأبى نعيم : العين حق ، تدخل الجمل القدر والرجل القبر !

وجلى أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه تحدث بهذا الشطر فى مناسبات شتى ، بين فيها

---

(١) فى كتاب السلام « باب الطب والمرضى والرقى » وذكره صاحب « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » فى حرف العين ، تسامحاً ؛ فإنما اتفقا على الشطر الأول كما رأيت وأما الحديث الأول فرواه البخارى فى « باب العين حق » من كتاب الطب ، وفى « باب الوشمة » من كتاب اللباس .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كلها أن الإصابة بالعين حق لا شك فيه . ويعلم المؤمنون بالرسول وما أنزل إليه من ربه أنه « ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم » .

ثم نهى فى بعض المناسبات عن الوشم . وهو غرز إبرة أو نحوها فى الجلد حتى يسيل الدم ! ثم يذر عليه كحل أو نحوه ليخضر ، وهو تغيير لخلق الله وفطرته ، ومن هنا لعن الله فاعله والداعى إليه ! ففى كل من الإبرة والعين وخز من الشيطان يغضب الرحمن عز وجل ، وإن كان أحدهما وخزاً حسياً والآخر وخزاً مادياً ! ذلك إلى أن من البواعث على الوشم دفع العين أو اتقاء ضررها بما لم يعتمد على عقل ولا نقل ، فكان من اللطائف النبوية النهى عن الدواء الذى لم يأذن به الله ، إلى الدواء الذى أذن به . . .

وفى بعض المناسبات قرن النبى صلى الله عليه وسلم إصابة العين بالقدر وإن كانت منه بلا ريب ، توكيداً لنفاذ سهمها . وشدة تأثيرها فيمن تصيب بإذن القاهر على كل نفس بما كسبت . وكأنه يقول صلوات الله عليه لو صح أن يغالب القدر شيء ويسابقه فى إفناء شيء أو الإضرار به قبل أجله المضروب له ، لسبقت العين . فهو توكيد بليغ من طريق الفرض ومثله فى كلام البلغاء والمربين ذائع شائع لا نطيل القول به . . .

* * *

وفى هذا التوكيد النبوى الذى يكاد يبلغ مبلغ التواتر فى إصابة العين ، تنبيه على دقة الأمر وعلى أنه من عالم الروح والغيب ، الذى يشق على كثير من الناس تصديقه ، ولاسيما الذين يقفون عند ظواهر الأمور ، ولا يؤمنون إلا بما يقع فى دائرة الحس والهوى .

لا جرم أن الأباطيل والخرافات ، سممت كثيرا من الأفكار والأخبار ، وسيطرت على كثير من الجهال وأنصاف المتعلمين ، وشككت غير قليل من الباحثين الحائرين ، ولكن الحس والهوى ماكانا وان يكونا أبدا مقياسا للتصديق أو التكذيب . فالهوى يعمى ويصم إلا هوى تابعا لما جاء به المعصوم صلى الله عليه وسلم ، والحس مقياس أبتر أعوج ، تكرر خطؤه ونقصه وقصره فى المحسات ، فضلا عن المغيبات ، بشهادة الذين لا يؤمنون بالغيب . . .

والمقياس الرشيد فى عالم الغيب والشهادة ، هو التصديق بكل ما صدقه الله ورسوله ، والتكذيب بكل ما كذبه الله ورسوله ، والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله وجاز عقلا وشرعا أن يكون وألا يكون . وقد قال العلماء إن كل شيء ليس محالا فى نفسه ، ولا يؤدى إلى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

قلب حقيقة ولا إفساد دليل فهو مما يجيزه العقل ، فإذا أخبر به المعصوم كان إنكاره مكابرة، وصحة الخبر برواية الثقات كافية وإن لم تكن متواترة . . . وإلا جحدنا كثيرا من أخبار الصادق المصدوق بعد ما ظهر الدليل ووضح السبيل .

* * *

وأما قوله صلوات الله وسلامه عليه : « وإذا استغسلتم فاغسلوا » فهو بيان للطب المادى من إصابة العين ، يأمر العائن أن يغتسل إذا طلب منه الغسل ، وفيه إشارة إلى أن الاغتسال كان معروفا عندهم ، فأمرهم ألا يمتنعوا منه إذا أريد منهم ، وأدنى مافيه الطمأنينة لهم ورفع الوهم عنهم . وظاهر أن هذا الاغتسال رخصة فينبغى الاقتصار على ماجاء فيها دون التوسع فيما ابتدع المبتدعون وتزيدوا وكذبوا على الله ورسوله ! ونفروا كثيرا من ذوى الفطرة البريئة من الأحاديث الصحيحة ! .

وقد روى أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين . وفى هـذا الاغتسال ـ كما قال العلماء ـ مناسبة لا تأباها العقول السليمة ، فهذا ترياق سم الحية يؤخذ من لحمها . وهذا علاج النفس الغضبية ، توضع اليد على بدن الغضبان فيسكن فكأن أثر العين الحاسدة كشعلة من نار وقعت على جسد المحسود ، ففى اغتساله إطفاء لتلك الشعلة . .

* * *

وأعظم من هذا الطب المادى وأنسب ، ذلك الطب الروحى النبوى ، بالرقى والمعوذات التى جاءت عن الله ورسوله ، وقاية وعلاجاً ، ومنهما ما رواه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين ويقول إن أبا كما كان يعوذ بها إسماعيل وإسحاق : أعوذ بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة . والشيطان هنا شيطان الإنس والجن ، والهامة واحدة الهوام ـ بتشديد الميم ـ ذوات السموم والعين اللامة : النازلة التى تصيب بسوء ، من أعين الإنس والجن . وقد روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : أمرنى النبى صلى الله عليه وسلم أو أمر أن نسترقى من العين ، وثبت فى صحيح مسلم أن جبريل عليه السلام رقى النبى صلى الله عليه وسلم ، وأفاض علماء

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

السنة والاجتماع ـ وفى مقدمتهم ابن خلدون ـ فى العين وإصابتها وتأثيرها بإذن الله تعالى وعلاجها بالرقية المشروعة : [١] .

وأكبر العلم أن أجمع العلماء بيانا فى ذلك كله صاحب « زاد المعاد » فى الطب النبوى . كفى وشفى ولم يدع زيادة لمستزيد ولا قولا لقائل ، وقد هممت أن ألخص هنا بيانه ، ولكنى آثرت الإشارة على العبارة ، والقصد على الإطالة : فليسعنا فى العين والرقية منها ما وسع الراسخين فى العلم ، ولنغض الطرف عن الزائغين والمجادلين فى الحق بعد ما تبين .

« والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » ؟

طه محمد الساكت

من التوجيه المحمدى

« إن الحلال بين وإن الحرام بين ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام : كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه .

« ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه » .

« ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله . ألا وهى القلب » .

هذا الحديث النبوى من جوامع الكلم المحمدية الكبرى ، ومن الأحاديث التى تدور عليها قواعد الإسلام ، فالمسلم الموفق لا يفوته حفظ هـذا الحديث ، واتخاذه إماما فى جميع تصرفاته .

---

(١) فى م ١١ ج ٩ شرح الشيخ الجزيرى رحمه الله حديث أبى سعيد رضى الله عنه : فى الرقية . . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

نقد كتاب

« أضواء على السنة المحمدية »

(٤)

١ — من دأب هذا المؤلف فى كتابه أنه إذا استولت عليه فكرة ، أو غلب عليه هوى ، جعل البحث تابعا لما يرى أو يهوى . وفى سبيل هذا يركب الصعب والذلول . ولا عليه فى هذا السبيل أن يحرف الكلم عن مواضعه ، ويحمل الألفاظ ما لم تتحمل ، وأن ينقل نقولا بتراء ، وأن يقع فى أعراض بعض العلماء والأئمة المثبتين .

ومن دأبه أيضاً التهويل والمبالغة عند عرض فكرة أو رأى له ، وأنه يجعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، وهذا هو ما صنعه عند ما عرض لبحث « رواية الحديث » فى ص (٥٤) وما بعدها ، فقد جعل رواية الأحاديث بالمعنى هو الأصل والقاعدة ، ومجيئها على اللفظ أمراً شاذاً نادراً ، بل وأنحى باللائمة والتجهيل للذين يحسبون « أن أحاديث الرسول التى يقرءونها فى الكتب أو يسمعونها ممن يتحدثون بها قد جاءت صحيحة المبنى محكمة التأليف ، وأن ألفاظها قد وصلت إلى الرواة مصونة كما نطق بها النبى بلا تحريف ولا تبديل ، وأن الصحابة ومن جاء بعدهم ممن حملوا عنهم إلى زمن التدوين قد نقلوا هذه الأحاديث بنصها كما سمعوها ، وأدوها على وجهها كما لقنوها ، فلم ينلها تغيير ولا اعتراها تبديل ، وأن الرواة للأحاديث كانوا صنفا خاصاً فى جودة الحفظ وكمال الضبط وسلامة الذاكرة » إلى أن قال « ولقد كان — ولا جرم — لهذا الفهم أثر بالغ فى أفكار شيوخ الدين — إلا من عصم ربك — فاعتقدوا أن هذه الأحاديث فى منزلة آيات الكتاب العزيز من وجوب التسليم بها ، وفرض الإذعان لأحكامها ، بحيث يأثم أو يرتد أو يفسق من خالفها ، ويستتاب من أنكرها أوشك فيها » .

والقارئ لهذا الكلام — إذا لم يكن من أهل العلم والمعرفة بالحديث النبوى — يخيل إليه أن السنة لم يأت فيها حديث على محكم لفظه ، وأنها دخلها الكثير من التغيير والتحريف . مع أن الأصل فى الرواية أن تكون باللفظ المسموع من الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، وأما الرواية بالمعنى فهى رخصة يترخص فيها بقدر الحاجة إليها إذا غاب اللفظ عن الذهن

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أو لم يتأكد منه ، ومما لاينبغى أن يخفى على باحث فى الحديث النبوى أن يعلم أن بعض العلماء والرواة قد منعوا الرواية بالمعنى مطلقاً وألزموا أنفسهم وغيرهم بأداء اللفظ كما سمع ، وأن من أجاز من العلماء والرواة الرواية بالمعنى إنما أجازها بشروط فيها غاية التحوط والأمن من التزيد والتغيير والتبديل فقالوا : لاتجوز الرواية بالمعنى إلا لعالم عارف بالألفاظ ومقاصدها ، خبير بما يحيل معانيها ، بصير بمقدار التفاوت بينها . كما قالوا : إن هذا فيما يروى قبل أن يدون ، أما ما دون فى الكتب فلا يجوز تغييره بمرادفه ولا التصرف فى لفظه بحال من الأحوال (١) . والعجيب أن المؤلف نقل نحواً من هذا عن كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى ، ولا أدرى كيف ينقل شيئاً ولا يقتنع به ؟ ! وكيف غاب عن ذهن المؤلف أن التدوين بدأ بصفة عامة ورسمية فى نهاية القرن الأول ، ولم يكد ينتهى القرن الثالث حتى كانت السنة كلها مدونة فى الكتب من صحاح وسنن ومسانيد ؟ وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث فى القرن الأول ولا سيما بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم (٢) ؟ فكيف تتفق هذه الحقائق وما رمى به من أحكام جائرة ظالمة ؟ وهل على أحد من حرج بعد هذا لو وصم هذا المؤلف بخبث الطوية وسوء القصد ومحاولة هدم الأصل الثانى من أصول التشريع ؟ ؟.

وماذا يبتغى أعداء الإسلام أكثر مما يقوم به أبو ريه وأمثاله من تقويض إحدى دعامتى الدين بهذه المحاولات الفاشلة الهازلة ؟ وليعلم أبو ريه أن شيوخ الدين ـ أعزهم الله ـ حينما يعرفون للسنة مكانتها من الدين ، ويحلونها من أنفسهم المحل اللائق بها ، ويرون التزامها علما وعملا وسلوكا ، ويذبون عن ساحتها كل دعى زنيم ، ويفسقون أو يؤثمون من يرد ماثبت من السنة ، ويحاول جاهداً إبطالها والكيد لها أو الاستهزاء والاستخفاف بها ، لايستحقون منه كل هذا الغمز واللمز ؛ لأنهم يصدرون فى هذا عن دين قويم ورأى مستنير وعلم أصيل .

٢ ـــ إن هذه الأحكام الجائرة إنما تصدر عمن غفل عن العوامل الدينية والنفسية والخلقية التى اتصف بها الرواة من الصحابة ومن بعدهم من التابعين وتابعيهم . . . من أهل القرون الفاضلة بشهادة المعصوم صلى الله عليه وسلم وشهادة الواقع التاريخى ، فهم ذوو الدين

(١) مقدمة ابن الصلاح بشرحها ص ١١٠ ط الشام .

(٢) مفتاح السنة ص ١٨ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الكامل والخلق العالى والتقوى والمروءة ، وهم يعلمون حق العلم أنهم يروون نصا يعتبر مرجعا فى الدين وأصلا من أصوله ، وأن أى تزيد فيه أو تحريف وتبديل يؤدى بهم إلى أن يتبوءوا مقاعدهم فى النـــار ، وهم إلى ذلك ذوو حوافظ قوية وأذهان سيالة ووجدان حى وقلوب عاقلة واعية ، وإنكار هذه الخصائص أو بعضها إنكار للحق الثابت والواقع الملموس .

٣ — حينما نقل من أدلة المجوزين للرواية بالمعنى حديث عبد الله بن سليمان الليثى قال : قلت يارسول الله إنى أسمع منك الحديث لا أستطيع أن أؤديه كما أسمعه منك يزيد حرفا أو ينقص حرفا . فقال : « إذا لم تحلوا حراما ولم تحرموا حلالا وأصبتم المعنى فلا بأس » ؛ فذكر هذا للحسن فقال : لولا هـذا ما حدثنا . قال فى الهامش ص (٥٧) : هذا الحديث يناقض ولا ريب حديث « نضر الله امرءاً سمع مقالتى فوعاها » . ولكن لابد لكل فئة من أن تزيد رأيها بحديث ، يريد الطعن فيه بالوضع والاختلاق ، وإنى أقول له : إن هـذا الحديث رواه ابن منده فى معرفة الصحابة ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، والخطيب فى كتبه وغيرهم ، ونقله أئمة الحديث وأطباؤه فى كتبهم ولم يحكم عليه أحد منهم بالوضع ، وكنت أحب من المؤلف لو أراد البحث النزيه المستقيم أن ينقده نقداً صحيحاً من جهة سنده أو متنه ، ويبين موضع الدخل فيه ، ولكنه لم يفعل . أما ماتخيله من مناقضة بين الحديثين فغير صحيح ، فحديث « نضر الله امرءاً ... » للترغيب فى المحافظة على اللفظ المسموع والحث عليه ، وليس من شك فى أن المجوزين للرواية بالمعنى يرون أن الأفضل والأحسن رواية الحديث بلفظه . وأما الحديث الثانى فهو لبيان جواز الرواية بالمعنى بشروطها . ثم ألا يقال لمن روى كلاما بمعناه مع التحوط البالغ أنه أداه كما سمعه ؟ بلى .

٤ — ولكى يدلل المؤلف على ماجازف به من آراء فائلة ذكر أمثلة للرواية بالمعنى ، فعرض لما ورد فى صيغ التشهد من أحاديث ، ولما ورد فى حديث الإسلام والإيمان ، وحديث زوجتكها بما معك من القرآن ، وحديث الصلاة فى بنى قريظة ، وقد استغرق ذلك من كتابه من ص ٦٠ - ٧٤ والغرض الذى قصده من وراء هذا أن يخلص إلى ضرر الرواية بالمعنى من الناحية الدينية وقد شاء الحق سبحانه أن يسقطه بسبب ماعرض له سقطات لا لعى له منها ، وقد أسفرت عن ضحولة المؤلف فى البحث ومبلغ علمه بالحديث ، وسأبين وجه الحق فيما عرض له مع الإيجاز .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

(ا) عرض المؤلف لما روى فى التشهد فى الصلاة من صيغ ، فذكر تشهد ابن مسعود وابن عباس وعمر وغيرهم ، ثم قال : هذه تشهدات ثمانية وردت عن الصحابة ، وقد اختلفت ألفاظها ، ولو أنها كانت من الأحاديث القولية التى رويت بالمعنى لقلنا عسى ، ولكنها من الأعمال المتواترة التى كان يؤديها كل صحابى مرات كثيرة كل يوم . . .

وردى عليه من أين لك أن هذه التشهدات قيلت فى قصة واحدة حتى تدال بها على ضرر الرواية بالمعنى ؟ إن الطالب المبتدئ فى الحديث ليدرك بادئ الرأى أنها وقائع متفرقة ، وأن النبى قال كل ذلك فى أوقات متفاوتة بهذه الألفاظ المتغايرة ليبين للأمة أن التشهد بأى منها جائز ، فابن مسعود وهو من السابقين إلى الإسلام سمع أولا ، وابن عباس وهو من مهاجرة الفتح سمع بعد ذلك وهكذا ، قال ابن قدامة الحنبلى « فصل وبأى تشهد تشهد مما صح عن النبى صلى الله عليه وسلم جائز ، نص عليه أحمد فقال : تشهد عبد الله أعجب إلى ، وإن تشهد بغيره فهو جائز ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لما علمه الصحابة مختلفاً دل على جواز الجمع كالقراءات المختلفة التى اشتمل عليها المصحف (١) » وقد اختلفت أنظار الأئمة فى ترجيح بعضها على بعض من غير طعن فى المرجوح ولا رد له ، فالجمهور ومنهم الحنفية والحنابلة أخذوا بتشهد ابن مسعود ، وأخذ الشافعية بتشهد ابن عباس ، والمالكية بتشهد عمر ، ولهم فى اختياراتهم مرجحات وأدلة تدل على رحابة الصدر فى البحث وعمق الغور وشفوف النظر (٢) ، قال الترمذى : « حديث ابن مسعود روى من غير وجه وهو أصح حديث فى التشهد ، والعمل عليه عند أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم . . . » .

ولكى ترى الفرق بين العلماء والأدعياء أذكر لك ما روى عن الإمام الشافعى ، وقد سئل عن اختياره تشهد ابن عباس قال : « لما رأيته واسعاً وسمعته عن ابن عباس صحيحاً كان عندى أجمع وأكثر لفظاً من غيره ، وأخذت به غير معنف لمن يأخذ بغيره مما صح » . ولو سلمنا ـ جدلا ـ أن هذه الروايات فى قصة واحدة فالخلاف بينها هين يسير لا يستأهل كل هذا التهويل ، فتشهد ابن مسعود بلفظ : « التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك

---

(١) المغنى والشرح الكبير . ج ١ ص ٥٧٩ .

(٢) لكى تقف على هذا ارجع إلى فتح البارى ج ٢ ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ، والمغنى والشرح الكبير الموضع السابق .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أيها النبي الخ » وتشهد ابن عباس بلفظ : « التحيات المباركات الصلوات الطيبات لله » وباقيه كتشهد ابن مسعود ، وتشهد عمر بلفظ : « التحيات لله ، الزاكيات لله ، الصلوات لله ، الطيبات لله » وسائره كتشهد ابن مسعود . وبقية صيغ التشهد الواردة لا تخرج عن هذه الصيغ بزيادة كلمة من صدر التشهد أو نقصان أخرى ، وذكر لفظ « لله » عقب كل كلمة منها ، أو فى أولاها أو أخراها . وكل ذلك أمر جائز وله وجه فى العربية . وأما زيادة البسملة قبل التشهد ، فلم تصح كما قال الحافظ فى الفتح . فعلام كل هذه الضجة المفتعلة التى لا يقصد من ورائها إلا التشويش على السنة والأحاديث ؛ ثم من قال أيها المؤلف البحاثة : إن التشهد من قبيل الأفعال المتواترة وليس من قبيل الأقوال ؟ ! إن الطالب المبتدئ يعلم أن الصلاة أقوال وأفعال والتشهد من الأقوال لا محالة .

(ب) أما ما عرض له من حديث (كذا)[١] الإسلام والإيمان . وزعمه أن الروايات التى ذكرها فى قصة واحدة فما يقضى منه العجب ، ومن ذا الذى يجهل أن حديث جبريل المشهور هو غير حديث طلحة بن عبيد الله فى قصة الرجل الذى جاء من أهل نجد ثائر الرأس يسأل عن شرائع الإسلام ؟ بل من ذا الذى يشك فى أن حديث جبريل غير حديث أبى أيوب الأنصارى فى قصة الرجل الذى جاء إلى النبى فقال : دلنى على عمل يدنينى من الجنة ويباعدنى من النار ؟ وحديث أبى هريرة الذى فيه : أن أعرابياً جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة ـ الحديث ؟ نعم قد قيل إن حديث أبى أيوب وحديث أبى هريرة فى قصة واحدة ، وقيل إنهما قصتان ، وهو الذى مال إليه الحافظ فى الفتح [٢] .

ولعل منشأ الشبهة عنده أنه وجد الإمام مسلما ذكرها فى صحيحه فى مكان واحد فظن أنها فى قصة واحدة ، أو لعل منشأ الشبهة عنده سوء فهمه لعبارة الإمام النووى التى ساقها فى ص٦٧ من كتابه ، والإمام النووى أجل من أن يظن أن حديث جبريل وحديث الرجل الثائر الرأس وحديث أبى أيوب وحديث أبى هريرة كلها فى قصة واحدة . ولو أن المؤلف رجع إلى كتاب

---

[١] هكذا سمى المؤلف الأحاديث حديثاً بناء على زعمه أنها روايات فى قصة واحدة والحق خلاف ذلك.

[٢] فتح البارى ج ٣ ص ٢٠٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« فتح البارى » لعمدة المحققين فى هذا الفن وأمير المحدثين الحافظ ابن حجر لوقف على مفصل الحق ، ولما وقع فى هذا الخلط الشنيع .

(ح) فى ص (٦٨) استشهد على ضرر الرواية بالمعنى فى الدين بحديث المرأة التى جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم وأرادت أن تهب نفسها له فأعرض عنها النبى ، فتقدم رجل فقال: يا رسول الله أنكحنيها ـ ولم يكن معه من المهر غير بعض القرآن ـ فقال النبى « أنكحتكها بما معك من القرآن » ، وفى رواية زوجتكها بما معك » ... وفى رواية ثالثة « زوجتكها على مامعك ..» وفى رواية رابعة « قد ملكتكها بما معك» وفى رواية خامسة « قدأملكتكها بما معك الخ » إلى أن قال : فهذه اختلافات ثمانية فى لفظة واحدة . ولكى يؤيد ما يريد نقل عن ابن دقيق العيد والعلائى نقلين وبترهما لحاجة فى نفسه كما ستعلم عن كثب ، ومع إمكان احتمال أن تكون القصص والوقائع متعددة إلا أن الأظهر أنها فى قصة واحدة ، وعليه فنحن لا ننكر أن هذا الحديث وغيره ورد بألفاظ متغايرة إلا أنها لا تحيل المعنى ، فهى متقاربة ويفسر بعضها بعضا ، فمثلا فى الحديث الذى ذكره نرى أن زوجتكها وأنكحتكها بمعنى وكذلك لافرق بين « بما معك» و« على مامعك» فمؤدى العبارتين واحد ، ورواية أملكتكها وملكتكها بمعنى أيضا وتمليك رقبة حرة غير معقول عقلا ولا شرعاً فلم يبق إلا أن يكون المراد تملك حق الاستمتاع بها وهو معنى الزواج ، فهذه خمس روايات ليس بينها تضاد أو تناقض ، وباقى الروايات الثمانية بعضها بلفظ « أنكحتكها على أن تقرئها وتعلمها » وبعضها بلفظ . أمكناكها بما معك الخ » وبعضها بلفظ « خذها بما معك » وهكذا يتبين لك جليا أن الروايات الثمانية ليس بينها كبير فرق يسوغ للمؤلف أن يرمى السنة بمنكر من القول فيزعم أنها وصلتنا مغيرة مبدلة ! .

على أن طريقة العلماء المحققين فى هذا الحديث وأمثاله هو الترجيح وبذل الجهد فى التحرى والبحث عن حقيقة اللفظ الذى صدر من الرسول صلوات الله وسلامه عليه . ولعلماء الحديث وجها بذته ـ وراء قواعد النقد الظاهرة ـ ملكة خاصة وحاسة دقيقة بهما ينفذون إلى معرفة اللفظ الذى هو أليق بالصدور عن الرسول ، وهذا هو ما فعله الأئمة تجاه الروايات فى هذا ، قال ابن دقيق العيد : « هذه لفظة واحدة فى قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث فالصواب فى مثل هذا النظر إلى الترجيح ، وقد نقل عن الدارقطنى أن الصواب من روى زوجتكها وأنهم أكثر وأحفظ ... » . ولما نقل المؤلف كلام ابن دقيق العيد وقف عند

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« مخرج الحديث » وترك الباقى . وغير خفى على القارئ الفطن السر فى تركه لعجز الكلام : لأنه يهدم ما يريد أن يصل إليه ، وكذلك لما نقل كلام العلائى ترك من آخره قوله « ولكن القلب إلى ترجيح رواية التزويج أميل ، لكونها رواية الأكثرين ؛ ولقرينة قول الرجل الخاطب زوجنيها يا رسول الله » فلماذا تركت هذا أيها المؤلف الأمين ؟ ! ! وقال الحافظ ابن حجر « نعم الذى تحرر مما قدمته أن الذين رووا بلفظ التزويج أكثر عددا ممن رواه بغير لفظ التزويج ولا سيما وفيهم من الحفاظ مثل مالك ، ورواية سفيان بن عيينة « أنكحتكها » مساوية لروايتهم ومثلها رواية زائدة (١) .

وهكذا يتبين لنا أن لاضرر دينيا بسبب الرواية بالمعنى كما يريد أن يصوره المؤلف مادامت الألفاظ متوافقة أو متقاربة وما دام طريق الترجيح بين الروايات يؤدى بالمجتهد إلى الوصول إلى الحق والصواب .

(د) ذكر حديث البخارى فى صحيحه عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب « لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة » الحديث ، ومقالة الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث « كذا وقع فى جميع النسخ عند البخارى ، ووقع فى جميع النسخ عند مسلم « الظهر » مع اتفاق البخارى ومسلم على روايته عن شيخ واحد بإسناد واحد ، وقد وافق مسلما أبو يعلى وآخرون وكذلك أخرجه ابن سعد .. وأما أصحاب المغازى فاتفقوا على أنها العصر » وإلى هنا اقتصر المؤلف من كلام الحافظ . وتتمة كلام ابن حجر « وكذلك وافق البخارى الطبرانى والبيهقى فى الدلائل . وهذا كله يؤيد البخارى ، وقد جمع بعض العلماء بين الروايتين باحتمال أن يكون بعضهم قبل الأمر كان صلى الظهر وبعضهم لم يصلها ، فقيل لمن لم يصلها « لا يصلين أحد الظهر » ولمن صلاه « لا يصلين أحد العصر » وجمع بعضهم باحتمال أن تكون طائفة منهم راحت بعد طائفة . فقيل للطائفة الأولى الظهر وللطائفة الثانية العصر . وكلاهما جمع لا بأس به ... إلى أن قال : ثم تأكد عندى أن الاختلاف فى اللفظ من حفظ بعض رواته ... أو أن البخارى كتبه من حفظه ولم يراع اللفظ كما عرف من مذهبه فى تجويز ذلك ، بخلاف مسلم فإنه يحافظ على اللفظ كثيرا . . . لكن موافقة أبى حفص السلمى له - أى البخارى - تؤيد الاحتمال الأول وهذا كله من حديث ابن عمر ، أما بالنظر إلى حديث غيره فالاحتمالان المتقدمان فى كونه قال الظهر لطائفة والعصر لطائفة منهم . . . » .

(١) فتح البارى ج ٧ ص ١٧٦ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فها نحن نرى أن الحافظ ابن حجر ردد الوهم فى رواية البخارى بين أن يكون من أحد الرواة أو من البخارى نفسه مع ترجيح الاحتمال ، فجاء المؤلف فنقل من كلام الحافظ الاحتمال الثانى متمتضبا عما قبله وعما بعده ، وترك من كلام الحافظ ما قاله العلماء فى التوفيق بين الروايتين . ولا يخفى على القارئ الفطن ما يريده المؤلف من هذا الاقتضاب المخل والذى يبغى من ورائه إظهار أئمة الحديث ـ ولاسيما أميرهم البخارى ـ بمظهر غير الضابطين المتثبتين.

ولو سلمنا أن إحدى الروايتين من قبيل الوهم فهل يؤدى هذا إلى تغيير الحكم المستفاد من الحديث ؟ اللهم لا .

وبعد أن سرد مازعم أنه يؤيده خلص إلى هذه النتيجة الخاطئة : فقال فى ص ٧٠ : لما كانت أحاديثه صلى الله عليه وسلم قد جاء نقلها بالمعنى ـ كما بينا من قبل ـ وأنهم قد أباحوا لرواتها أن يزيدوا فيها ويختصروا منها ، وأن يقدموا ويؤخروا فى ألفاظها ـ بله ما سوغوه من قبول الملحون منها ـ لما كان الأمر قد جرى على ذلك . فقد نشأ من أثر ذلك كله ـ ولا جرم وبخاصة بسبب نقل الحديث بالمعنى ـ ضرر عظيم » وبحسبنا ما قدمت فى رد هذا التجنى على المحدثين .

٥ — من ص ٧٥ ـ ٧٩ عرض للحن والخطأ فى الحديث ، والتقديم والتأخير فيه ، والزيادة والنقص منه ، ورواية بعض الحديث واختصاره بأسلوب تهكمى ، وطريقته فى سرد الأقوال تظهر المحدثين بمظهر المتساهلين ، ثم ذكر عنوانا بالخط العريض فقال : « تساهلهم ـ أى المحدثين ـ فيما يروى فى الفضائل وضرر ذلك » وهو يوهم من لايعلم أن المحدثين جميعا على هذا ، مع أن كثيراً من الأئمة كالبخارى ومسلم وابن خزيمة قد جردوا كتبهم للصحاح . وتحروا غاية التحرى فى ذكر أحاديث الفضائل ، وأيضا فالمحدثون لم يأخذوا بالأحاديث الضعيفة فى باب الفضائل إلا بشروط فصلها أهل الفن والتحقيق ، فإرسال القول على عواهنه ـ كما صنع المؤلف ـ ليس من الأمانة العلمية فى عرض الآراء . وهو إلى التدليس والتلبيس أقرب منه إلى التوضيح والتبيين . وبحسبك أيها القارئ الطالب للحقيقة أن تراجع هذه المباحث التى استعرضها بغير أمانة فى كتب أصول الحديث لترى إلى أى حد حاول المؤلف التشنيع والتشهير بالمحدثين ، وأقرب هذه الكتب وأحدثها كتاب « توجيه النظر » للعلامة الشيخ طاهر الجزائرى .

« وبعد » : فلكى تزداد أيها الطالب للحقيقة علما بوصول السنن والأحاديث الثابتة من غير تحريف ولا تبديل ولا زيادة ولا نقصان أضع بين يديك هذه المقدمات والحقائق المستخلصة مما قدمنا .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

١ — أن الرواية بالمعنى قد منعها الكثيرون من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من رواة الحديث والتزموا أداء الأحاديث بألفاظها .

٢ — أن الرواية بالمعنى قد أجازها العلماء لمن كان عالما عارفا بالألفاظ والأساليب خبيرا بمدلولاتها والفروق الدقيقة بينها .

٣ — أن الذين أجازوها إنما أجازوها على أنها رخصة تتقدر بقدر الحاجة إليها ، لاعلى أنها أصل يتبع ويلتزم فى الرواية .

٤ — أن التدوين للأحاديث بدأ بصفة عامة ورسمية على رأس المائة الأولى وبلغ منتهاه فى نهاية القرن الثالث وأن بعض الصحابة والتابعين كانوا يدونون الأحاديث فى القرن الأول الهجرى ولا سيما بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم .

٥ — أن الروايه بالمعنى إنما ترخص فيها من ترخص فى غير الكتب المدونة ، أما فيها فلا كما قدمنا .

٦ — أن الرواية بالمعنى ممنوعة باتفاق فى الأحاديث المتعبد بلفظها كالأذكار والأدعية وجوامع كلمه صلى الله عليه وسلم .

٧ — أن الذين نقلوا الأحاديث من الصحابة ومن بعدهم من ثقات الرواة كان لهم من الخصائص الدينية والنفسية والخلقية والخلقية ما يعصمهم من التغيير والتبديل والتساهل فى الرواية ، وإنكار ذلك مكابرة .

٨ — أن القواعد التى أخذ جامعو الأحاديث بها أنفسهم عند تدوينها هى أدق وأرقى ما وصل إليه علم النقد فى تمييز المقبول من المردود من المرويات والحق من الباطل والخطأ من الصواب .

هذه المقدمات والحقائق تسلمنا إلى نتيجة صادقة وهى : أن الكثير من الأحاديث النبوية وصلت إلينا بمحكم لفظها ، وأن بعض الأحاديث قد رويت بالمعنى مع التحرز البالغ من التغيير المخل بالمعنى الأصلى ، وأن ماعسى أن يكون قد دخل الأحاديث بسبب الرواية بالمعنى شىء يسير قد تنبه له العلماء وبينوه ، وصدق المبلغ عن رب العالمين حيث يقول « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » ؟

محمد محمد أبو شهبة
الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

عين فى سبيل الله

فى الحديث النبوى الصحيح ـ كما يذكر السيوطى فى الجامع الصغير ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « حرمت النار على عين بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت فى سبيل الله ، وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله ، أو عين فقئت فى سبيل الله » .

والمطالع لسيرة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ينفحه عبير عاطر لسيرة صحابى فاضل ، من سادات الأوائل فى الإسلام ، الذين توزعت أنباؤهم وتفرقت أخبارهم هنا وهناك فى مصادر التاريخ ومراجع السيرة ، ولكنهم ظلوا برغم هذا كواكب تضىء وشموساً تنير ؛ وهذا الصحابى الجليل فقد عينه فى سبيل الله فرضى ذلك ، بل وفرح به واغتبط له ، فكانت سيرته باهرة ، وكانت خاتمته زاهرة ، ولقى ربه عظيماً كريماً مرضياً عنه .

ذلك هو أبو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحى الصحابى رضى الله عنه . كان من السباقين إلى الإسلام ، فتروى السيرة أنه وعبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف وأبا عبيدة بن الجراح وأبا سلمة أتوا رسول الله فأسلموا فى ساعة واحدة ، وكان ذلك فى أول الإسلام ، قبل دخول الرسول دار الأرقم بن أبى الأرقم ، ولا عجب فى سبق عثمان بن مظعون إلى الإسلام بهذه الصورة ، فقد كان من القلائل أصحاب القلوب النيرة والعقول المفكرة ، حتى قبل الإسلام ، فقد حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، وقال قولته البليغة العميقة : « لا أشرب شيئاً يذهب عقلى ، ويضحك بى من هو أدنى منى ، ويحملنى على أن أنكح كريمتى » ! .

أسلم عثمان مبكراً ، وتحمل مع إخوانه المسلمين الأوائل ما تحملوا من مشقة وعذاب فى سبيل الله ، وهاجر الهجرتين إلى الحبشة ، وكان أميراً للمهاجرين إليها ، كما هاجر إلى المدينة مع ابنه السائب ، ومع أخويه قدامة وعبد الله ابنى مظعون ، وآخى الرسول بينه وبين أبى الهيثم بن التيهان الأنصارى ، وشهد غزوة بدر .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان لعثمان مكانته فى التقوى والتجمل بمكارم الأخلاق ، ولقد روى أن الرسول صلوات الله عليه قال فيه : « إن عثمان بن مظعون لحيي ستير » . ويصفه الحافظ أبو نعيم الأصبهانى فى الحلية على طريقته فيقول : « المتقشف المحزون ، الممتحن فى عينه المطعون ، ذو الهجرتين عثمان بن مظعون . كان إلى الاستجابة لله سابقا ، وبمعالى الأمور لاحقا ، وفى العبادة ناسكا ، وفى المحاربة فاتكا ، لم تنقصه الدنيا ، ولم تحطه عن العليا ، تعجل إلى المحبوب ، فتسلى عن المكروب » .

وكان عثمان من أشد الناس اجتهاداً فى العبادة ، فهو يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويتجنب الشهوات ، ويعتزل النساء ، ولا يبالى ماذا يلبس أو ماذا يأكل ؛ وأورثه ذلك لوناً واضحاً من الزهد والتقشف ، ولقد دخل المسجد يوما وعليه نمرة (وهى شملة مخططة من مآزر الأعراب ، كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض) قد تقطعت ، فرقعها بقطعة من فروة ، فرق النبي وأصحابه لشأنه ، ثم قال النبي - كما يروى أبو نعيم - : « كيف أنتم يوم يغدو أحدكم فى حلة ، ويروح فى أخرى ، وتوضع بين يديه قصعة ، وترفع أخرى ، وسترتم البيوت كما تستر الكعبة » ؟ . قالوا : وددنا أن ذلك قد كان يا رسول الله ، فأصبنا الرخاء والعيش . فقال النبي : « فإن ذلك لكائن ، وأنتم اليوم خير من أولئك » ! . .

ويظهر أن اعتزال عثمان لامرأته ترك فى نفسها شيئاً فأعرضت عن الزينة والتطيب . ولقد دخلت على نساء النبي فى هيئة سيئة وملابس ممزقة ، فقلن لها : مالك ؟ فقالت تشير إلى حال زوجها وزهده : أما الليل فقائم ، وأما النهار فصائم ! . . فبلغ الخبر الرسول فلقى عثمان فلامه قائلا : أما لك بى أسوة ؟ . فقال عثمان : بلى ، جعلنى الله فداك ، بأبى أنت وأمى . فما ذاك ؟ قال النبي له : تصوم النهار وتقوم الليل ؟ قال : إنى أفعل ذلك . فقال النبي : « إن لعينك عليك حقاً ، وإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لأهلك عليك حقاً ، فصل ونم ، وصم وأفطر » ! . . .

واستجاب عثمان بن مظعون لهدى الرسول ، فخفف من شدته على نفسه . فيروى أن امرأته جاءت بعد ذلك حسنة الهيئة طيبة الريح ! ! .

وأما قصة عينه التى فقدها فى سبيل الله فهى أنه لما هاجر مع من هاجر من المسلمين إلى الحبشة بقى هناك حتى نزلت سورة « النجم » ، فرجع أكثر المسلمين ، وكان عثمان وأصحابه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ممن رجع ، ولكنه لم يستطع دخول مكة إلا بجوار من أحد أهلها ، فأجاره الوليد بن المغيرة من مشركى قريش . فكان يذهب ويجيء فى مكة لا يناله أحد بسوء ، بينما غيره من المسلمين يساموون العذاب والاضطهاد ، ولما رأى عثمان ما يعانيه الصحابة من البلاء وهو يغدو ويروح فى أمان قال لنفسه : والله إن غدوى ورواحى آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابى وأهل دينى يلقون من الأذى والبلاء ما لا يصيبنى ، لنقص كبير فى نفسى ! . .

وذهب إلى الوليد وقال له : يا أبا عبد شمس ، وفت ذمتك ، قد رددت إليك جوارك . فقال الوليد : لم يا ابن أخى ؟ لعله آذاك أحد من قومى ؟ قال عثمان : لا ، ولكنى أرضى بجوار الله عز وجل ، ولا أريد أن أستجير بغيره ! ! ...

فقال الوليد لعثمان : فانطلق معى إلى المسجد فاردد على جوارى علانية ، كما أجرتك علانية ! . . . وانطلق عثمان ، وصحبه إلى المسجد ، وهناك قال الوليد للناس : هذا عثمان ابن مظعون قد جاء يرد على جوارى . فقال عثمان : قد صدق الوليد ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ، ولكنى قد أحببت أن لا أستجير بغير الله ، فقد رددت عليه جواره .

وجلس عثمان عقب ذلك مع جماعة من المشركين ينشدهم أحدهم ـ وهو لبيد ـ شعرا له ، فقال فيه : « ألا كل شيء ما خلا الله باطل » . فقال له عثمان : صدقت . ثم أنشد الشاعر عقب ذلك : « وكل نعيم لامحالة زائل » ، فقال له عثمان : كذبت ، نعيم أهل الجنة لا يزول ! .

فتألم لبيد وقال لمن حوله : يا معشر قريش ، والله ما كان يؤذى جليسكم ، فمتى حدث هذا فيكم ؟ فقال له أحدهم : إن هذا سفيه فى سفهاء معه قد فارقوا ديننا ، فلا تجد فى نفسك من قوله . فرد عثمان عليه بما يناسبه ، فقام هذا الرجل ولطم عثمان على عينه فأطفأها ! .

وكان الوليد بن المغيرة قريبا منهما ، ورأى ما حدث لعثمان ، فقال له شامتا فيه : أما والله يا ابن أخى إن كانت عينك عما أصابها لغنية ، ولقد كنت فى ذمة منيعة ! . . . فقال عثمان : بل والله إن عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها فى الله ، وإنى لفى جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس !! .

ثم قال عثمان بن مظعون فى عينه :

فإن تك عينى فى رضا الرب نالها ... يدا ملحد فى الدين ليس بمهتد

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقد عوض الرحمن منها ثوابه ومن يرضه الرحمن يا قوم يسعد
فإنى - وإن قلتم غوى مضلل سفيه - على دين الرسول محمد
أريد بذاك الله والحق ديننا على رغم من يبغى علينا ويعتدى

ويروى أن الإمام على بن أبى طالب قال فى ذلك أيضا هذه الأبيات :

أمن تذكر دهر غير مأمون أصبحت مكتئبا تبكى كمحزون
أمن تذكر أقوام ذوى سفه يغشون بالظلم من يدعو إلى الدين
لا ينتهون عن الفحشاء ما سلموا والغدر فيهم سبيل غير مأمون
ألا ترون - أقل الله خيرهم - أنا غضبنا لعثمان بن مظعون
إذ يلطمون - ولا يخشون - مقلته طعنا دراكا ، وضربا غير مأفون (١)
فسوف يجزيهم - إن لم يمت عجلا - كيلا بكيل ، جزاء غير مغبون !

وختم الله حياة عثمان بن مظعون خاتمة محفوفة بما يدل على الخير والبركة . فقد توفى بعد أن شهد بدرا ، وأهل بدر هم الذين قال لهم ربهم : « اعملوا ما شئتم فإنى قد غفرت لكم » ، وتوفى وهو محافظ على دينه ويقينه وعبادته ، وكانت وفاته فى شعبان بعد سنتين ونصف من الهجرة . ودخل عليه الرسول حين مات ، فانكب عليه ورفع رأسه ، ثم حنى الثانية ثم رفع رأسه ، ثم حنى الثالثة ثم رفع رأسه وله شهيق . فعرف القوم أن النبى يبكى فبكوا ، فقال النبى : « أستغفر الله ، أستغفر الله ، اذهب عنها أبا السائب . فقد خرجت منها ولم تلبس منها بشىء » ! ! . .

ويروى أنه أكب عليه يقبله وهو ميت . وقال : « رحمك الله يا عثمان ، ما أصبت من الدنيا ، ولا أصابت منك » . وقالت امرأة عثمان للنبى مشيرة إلى زوجها : « يا رسول الله ، فارسك وصاحبك » .

وصلى النبى عليه الصلاة والسلام على عثمان . ودفن بالبقيع ، وهو أول من دفن فيه ، وأول من توفى بالمدينة من المهاجرين ، وقال عنه النبى : هذا فرطنا . ووقف على شفير قبره ، ووضع عند رأسه حجراً ، وقالت زوجة عثمان : هنيئاً لك يا أبا السائب الجنة ! . .

---

[١] غير مأفون : غير قليل .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فقال لها النبي : وما علمك بذلك ؟ ! . قالت : كان ـ يا رسول الله ـ يصوم النهار ويصلى الليل . فقال النبي : (بحسبك لو قلت : كان يحب الله ورسوله) ! . .

وقالت زوجة عثمان فى رثائه :

يا عين جودى بدمع غير ممنون (١) على رزية عثمان بن مظعون
على امرئ بات فى رضوان خالقه طوبى له من فتيد الشخص مدفون
طاب البقيع له سكنى وغرقده وأشرقت أرضه من بعد تفتين [٢]
وأورث القلب حزنا لا انقطاع له حتى الممات فما ترقى له شونى [٣]

وفى الحديث الشريف أن النبي صلوات الله عليه وسلامه لما توفيت بنته رقية قال : « الحقى سلفنا الصالح عثمان بن مظعون » . وفى رواية : « الحقى بسلفنا الخير عثمان ابن مظعون » .

وفى صحيح البخارى أن أم العلاء الأنصارية قالت بعد موت عثمان ـ وكان قد توفى فى دارها ـ : رأيت فى النوم لعثمان بن مظعون عينا تجرى ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فقال النبي : ذاك عمله ! ! . .

رضوان الله تبارك وتعالى على ابن مظعون ، وجزاه خيرا بقدر ما ضحى فى سبيله وفقد من أجله ، وسلام عليه فى الخالدين ! ! . . ؟

أحمد الشرباصى
المدرس بالأزهر الشريف

---

[١] غير ممنون : غير مقطوع .

[٢] تفتين : سواد ، كأن الأرض محرقة ، وغرقده : أسبل الستر عليه .

[٣] شونى : مخففة من : شئونى ، وهى مجارى دمع العين .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تخطيط عريض

للمجتمع السعيد

ليس هناك مصلح واحد فى تاريخ العـــالم أحدث تغييراً شاملا فى حياة أمة بأكملها فى فترة تقل عن ربع قرن من الزمان كما أحدث نبى البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

كان العرب قبل الإسلام يخرون للأذقان غرقا فى الوثنية والشرك فنقلهم صلى الله عليه وسلم - بفضل الله وتأييده - إلى التوحيد وإفراده تبارك وتعالى بالعبادة والتقديس .

وكان العرب قبل الإسلام يخرون للأذقان غرقا فى شن الغارات لأوهى الأسباب . . . وفى التنابذ بالألقاب .. والإثم .. والبغى .. واختلاف الكلمة .. فنقلهم صلوات الله عليه - بفضل الله وتوفيقه - إلى السلم .. والإخاء .. والعدل .. وترك الفواحش ماظهر منها وما بطن .. فما سبب هذا الانتقال العجيب ؟ ...

سببه أن العرب قد انفعلت نفوسهم بما رسم النبي صلى الله عليه وسلم من تخطيط المجتمع السعيد . . وأن العرب قد احترموا ما التزمت به ذممهم من عهود . . وعقود . . ومواثيق .. وهكذا نقل الإسلام العرب من حال إلى حال مادياً . . وعقلياً . . وروحياً . . حتى اجتمعت قواهم على مركز واحد وتشكلت فى دولة ذات نظام وآداب سمت بهم إلى أعلى الآفاق .. رغم أنف تلك الدعايات المضادة المضللة المغرضة التى كان ينفث سمومها أعداء دعوة الحق .. وإذا رجعنا إلى تلك الآداب التى أحدثت بين العرب ذلك الانقلاب فإنا نرى عبادة بن الصامت ذلك الصحابى الجليل يروى لنا منها فيقول :

« بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره . . وعلى أثرة علينا . . وعلى أن لا ننازع الأمر أهله . . وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم » أخرجه البخارى .. ومسلم .. والموطأ .. والنسائى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تخطيط عريض للمجتمع السعيد . . أو أمور أربعة . . فى هذه المبايعة . . دارت عليها رحى ذلك الانتقال العجيب الذى لم يشهد له التاريخ مثالا .. وتدور عليها عجلة التقدم وارقى إلى أن تقوم الساعة .

الأمر الأول : السمع والطاعة .. السمع والطاعة خط عريض فى تخطيط المجتمع السعيد فهل كان يمكن أن ينتقل العرب ذلك الانتقال لولا السمع والطاعة ؟ ... كان العرب يسمعون ما يأمرهم به صلى الله عليه وسلم . . يسمعونه فيصدقونه ويجزمون به . . ثم هم بعد ذلك لايسمحون لأنفسهم أن يخالفوا مايؤمرون به سواء كان ذلك فى العسر ـ أى فى الشدة والضيق ـ أو فى اليسر . . وذلك من باب أولى وإنما ذكر من باب ذكر الشيء بذكر مقابله .. والمنشط ـ أى الأمر الذى ينشط له ـ والمكره ـ أى الأمر الذى تكرهه النفوس . . هذا هو الأمر الأول . . أو الخط الأول « السمع والطاعة » والقرآن الكريم يخبرنا أن من يسمع ويطيع يستره الله ويغفر له إذ يقول : « وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » ذلك أنه لايمكن لدولاب عمل أن يسير من غير السمع والطاعة .

الأمر الثانى من هذه المبايعة .. أو الخط الثانى فى هذا التخطيط « الإيثار » وعبر عنه بقوله : « وعلى أثرة علينا » والإيثار أن تقدم أخاك على نفسك كما يقول تعالى : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة . . » والإيثار : خلق رضى نبيل يدل على كمال الشخص وقوة إيمانه . .

الأمر الثالث فى هذه المبايعة .. أو هذه المعاهدة . . أو هذا العقد .. أو هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد هذا الأمر الثالث عبر عنه بقوله : « وعلى أن لانتازع الأمر أهله » فمنازعة ولاة الأمور فى ولايتهم والتعرض لهم فى جميع أعمالهم سبب لفتح باب الفتن « وطوبى لمن جعله الله مفتاحا للخير مغلاقا للشر » والمنازعة قد تكون بطريق مباشر أو غير مباشر إذا شجع الإنسان من ينازع . . واذا كانت المنازعة سبباً لفتح باب الفتن فإن عدم المنازعة صفة الخلص من الناس الذين يعملون على أن تسير سفينة الحياة فى أمن وهدوء بعيدة عن العقبات والعراقيل .. وليس معنى هذا أن نكون مع ولاة الأمور سلبيين .. كلا .. ليس هذا هو المراد مطلقاً وإنما المراد أن يعنى كل بدائرة عمله واختصاصه وأن يصرف كل عنايته فى عمله المحدود له .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأمر الرابع والأخير فى هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد عبر عنه بقوله : « وعلى أن نقول بالحق أينما كنا . . فالمسلم الكامل الإيمان لا يتكلم إلا صدقا ولا ينطق إلا حقاً ولو على نفسه فهو لا يتفوه بغير الحق أينما كان . . سواء كان فى المخاوف والضيق . . أو الأمن والسعة . . ومهما ترتب على القول الحق من التشديد والتضييق فقوة الإيمان تجعل الإنسان لا يبالى بنقد منتقد . . ولا يراعى فى كلامه إلا الله وحده . . فهو وحده المطلع على الضمائر والسرائر . . وهو وحده المجازى المؤاخذ . . ولذا قال : « لا نخاف فى الله لومة لائم » أى لا نخشى انتقاد أحد مادمت فى جانب الحق . . ومهما كان هناك من اللوم فلا نبالى بهم ولا تعول عليهم . . ويرحم الله عمر بن الخطاب فقد كان يقول : « يا حق . . ماتركت لى حبيباً » . . .

هذا هو التخطيط العريض للمجتمع السعيد :

١ — السمع والطاعة .

٢ — الإيثـــار .

٣ — تجنب المنازعة .

٤ — التزام قول الصدق مهما كان الأمر .

بهذه الأمور الأربعة نقل رسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم العرب من حال إلى حال فى فترة تقل عن ربع قرن من الزمان . . وبهذه الأمور الأربعة يسير دولاب أى عمل إلى الرقى والتقدم والنجاح .

ونحن إذ نذكر فى هذه الأيام المباركة ميلاد المصطفى صلوات الله عليه راسم هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد . . إذ نذكر العرب والمسلمين اليوم فى كل مكان . . إذ نذكرهم بهذه الآداب التى قامت عليها دولة الإسلام فإنما نشكر الله الذى أقدر العرب على وأد الخلافات التى ذقنا منها الويلات . . ونطمع فى الوقت نفسه بمزيد من التماسك . . والتضامن . . والتضافر . . فلم تؤت أمة . . ولم يقوض عرش . . ولم يهتز كرسى . . أو تتزلزل مصلحة إلا من طغيان المصالح الشخصيـة . . والأطماع الذاتية . . وإلا من المنازعة . . والرياء . . والانحراف عن الحق . .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

إن سنة الله فى خلقه أن لا يتم انقلاب أساسى فى أخلاق أمة أو طائفة إلا على يد رئيس تجرد من المصالح الشخصية والأطماع الذاتية وسار بقومه على هذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد .. ولا ريب أن النجاح الذى تلقيه ويلتاه العرب الآن إنما يدل على إخلاص القائمين عليه . . والإخـــلاص عنصر أساسى ، بل هو العنصر الوحيد فى بلوغ الهـدف والغاية « وما أمروا إلا ليعبدو الله مخلصين له الدين » .

وهـدفنا النهائى إنمـا يتركز فى إعادة مجد العرب . . وعزهم . . وجمع شملهم . . ولقـد خطونا فى سبيل ذلك خطوات طيبة مباركة ، وستتلوها إن شاء الله خطوات وخطوات ما دمنا لمن يبث بيننا الفرقة بالمرصاد . . وهـذا ما نفتح الآن عليه أعيننا جيدا باتباع أدب نبى البر ورسول الإنسانية محمد صلى الله عليه وسلم .

وإننى إذ أؤذن بهـذا التخطيط العريض للمجتمع السعيد من على منبر الأزهر فى مجلته . فإنمـا أبرئ ذمته من واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . . وإننى إذ أقول هـذا ألح على ولاة الأمور بوجوب العناية بالناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية . . هـذه الناحية يجب أن تأخـذ العناية كل العناية وبخاصة من الأزهر القائم على أمر الدين واللغة أو المفروض فيه ذلك . . ولعل الأزهر فى عهده القـادم الجديد السعيد يعنى بهـذه المسألة العناية كلها « الناحية التاريخية والجغرافية للبلاد العربية » .

« إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله » .

منصور رجب

التقـــوى

الفخر فى التقوى إذا رمت أن تفخـــر لا فى نسب أو رتب
ما رفع القـــربى أبا طـالب ولم يضع سلمان بعد النسب

عبد الله البيتوشى
من أعلام القرن الثانى عشر الهجرى

الوحدة العربية

فى شمال إفريقيا

لقد أصبحت الوحدة العربية اليوم حقيقة واقعة تأخذ مجراها الطبيعى فى سبيل التنفيذ، بعد أن رسخت دعائمها فى العصر الراهن مع توافر مقوماتها التاريخية والجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والمفهوم أن العالم العربى الذى يتجه اليوم نحو الوحدة والاندماج يتألف من مجموعة كبيرة من البلدان المتجاورة والممتدة فى قارتى إفريقيا وآسيا معاً، ولا شك أن مما يساعد هذا الاتجاه نحو الوحدة والاندماج على الوصول به إلى غايته المنشودة أن يتوافر بوضوح فى كل بلد من هذه البلدان أو فى كل مجموعة متقاربة منها، ونحن يهمنا هنا أن نتعرف إلى أى مدى وصل هذا الاتجاه فى بلدان شمال إفريقيا وهى تكون الجناح الغربى للعالم العربى أو بالأحرى الجناح الغربى للوحدة العربية.

والواقع أن الاتجاه نحو الوحدة العربية فى المغرب العربى هو اتجاه قوى واضح يزيد يوماً بعد يوم[1]، ومن أهم مظاهره ذلك المؤتمر الذى عقد فى طنجة فى المدة من ٢٧ إلى ٣٠ من شهر أبريل سنة ١٩٥٨ وأطلق عليه اسم (مؤتمر وحدة المغرب العربى) وضم مندوبين عن حزب الاستقلال المغربى وجبهة التحرير الوطنى الجزائرية، والحزب الحر الدستورى التونسى.

ومن أهم قرارات هذا المؤتمر القرار الذى أصدره حول توحيد المغرب العربى، والذى جاء فيه أن المؤتمر وهو يشعر أنه يعبر عن إرادة إجماع شعوب المغرب العربى فى توحيد مصيرها فى دائرة التضامن الملتين لصالحها، ومقتنع فى الوقت نفسه بأن الوقت قد حان لتجسيم

---

(١) كان من أهم المقترحات المغربية فى مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة الذى انعقد فى «أكرا» فى شهر أبريل سنة ١٩٥٨ تحقيق وحدة شمال إفريقيا بعد استتاب السلم فى الجزائر، كما تضمن برنامج الحكومة المغربية الجديدة فى عهد السياسية الخارجية بذل المساعى اللازمة حتى تتحرر الجزائر وتحقق وحدة شمال إفريقيا.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

هذه الإرادة فى الوحدة عن طريق مؤسسات مشتركة تمكن هذه الشعوب من القيام بدورها بين الأمم ، يقرر أن يعمل على تحقيق هذه الوحدة ويعتبر أن الشكل الفيدرالى أكثر ملاءمة للواقع فى البلاد المشتركة فى هذا المؤتمر .

ولهذا الغرض اقترح المؤتمر أن يشكل فى المرحلة الانتقالية مجلس استشارى المغرب العربى منبثق عن المجالس الوطنية المحلية فى تونس والمغرب وعن المجلس الوطنى للثورة الجزائرية ، ومهمته درس القضايا ذات المصلحة المشتركة وتقديم التوصيات للسلطات التنفيذية المحلية .

وأوصى المؤتمر بضرورة الاتصالات الدورية وكلما اقتضت الظروف ذلك بين المسئولين المحليين للأقطار الثلاثة من أجل التشاور حول قضايا المغرب العربى ولدراسة تنفيذ التوصيات التى يصدرها المجلس الاستشارى المغرب العربى ، كما أوصى حكومات بلاد المغرب العربى بألا تربط منفردة مصير شمال إفريقيا فى ميدان العلاقات الخارجية والدفاع إلى أن يتم إقامة المؤسسات الفيدرالية .

وقد قرر المؤتمر كذلك تأسيس كتابة دائمة للسهر على تنفيذ مقرراته ، وتؤلف هذه الكتابة من ستة أعضاء بنسبة مندوبين عن كل حركة ممثلة فى المؤتمر ، وتنقسم الكتابة إلى مكتبين أحدهما بالرباط والثانى بتونس ، وتجتمع الكتابة دوريا فى إحدى العاصمتين بالتناوب ويعقد أول اجتماع خلال شهر مايو سنة ١٩٥٨ .

وعقد بعد ذلك بتونس فى المدة من ١٧ إلى ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ مؤتمر هام جمع المسئولين فى الحكومتين التونسية والمغربية ووفدا عن لجنة التحرير الجزائرية ، وتم فيه الاتفاق كخطوة أمامية محتمة فى سبيل تحقيق وحدة المغرب العربى بكامل معناها بين كل من الجانبين التونسى والمغربى على تبادل التعاون والتنسيق فى الميدان الدبلوماسى بين البلدين ، والاستعانة بالاستشارة قصد تحديد الخطط والمواقف فى الهيئات والمؤتمرات الدولية وتوحيد التمثيل الدبلوماسى فى بعض البلاد الأجنبية .

ويمكن أن يعتبر هذا المؤتمر بداية مرحلة جديدة تجعل مقررات مؤتمر طنجة المشار إليه فى حيز التنفيذ كما يعتبر خطوة مباركة كللت بتبادل وثائق المصادقة على معاهدة الأخوة والتضامن المبرمة فى الرباط بتاريخ ٣٠ من شهر مارس سنة ١٩٥٧ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وصدر فى ٢٠ من شهر يونيو سنة ١٩٥٨ بلاغ ثلاثى بين المغرب وتونس والجزائر أعلن فيه إخلاص المؤتمر المذكور للمبادئ التى وافق عليها مؤتمر طنجة ، وجاء فيه أن الأمانة الدائمة لمؤتمر طنجة ستتكون من ستة أشخاص اثنين من المغرب واثنين من تونس واثنين من الجزائر ، وأن اللجنة الاستشارية للمغرب العربى ستتكون من ثلاثين عضوا : عشرة عن كل من المغرب وتونس والجزائر .

هذا وقد عقد أخيرا بالرباط عاصمة المملكة المغربية (مؤتمر موريطانيا والصحراء العربية) فى المدة من ٣ إلى ٥ من شهر سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، وجاء من بين قراراته أن ممثلى موريطانيا والصحراء فى هذا المؤتمر يؤكدون تأييدهم لما جاء فى مقررات طنجة السالف الذكر بخصوص وحدة المغرب العربى .

ومن مجموع هذه المؤتمرات والقرارات التى أصدرتها يمكن أن نتبين مدى قوة الاتجاه نحو الوحدة والاندماج فى بلاد شمال إفريقيا (تونس والجزائر والمملكة المغربية) ومدى اهتمام أبناء هذه البلاد بتأكيد رغبتهم فى الوحدة واتخاذ مختلف الوسائل لتحقيقها وتدعيمها .

ومن المؤكد أن هذا الاتجاه والاهتمام بتأكيده والوصول به إلى غايته ، له الأثر الكبير فى حل المشكلات الكبرى القائمة فى هذا الجزء الهام من الوطن العربى ، وأهم هذه المشكلات تلك الخاصة بالاستعمار الفرنسى فى الجزائر ، خاصة وأن المؤتمرات السالفة الذكر قد أجمعت كلها على أن تحرير الجزائر هو واجب مفروض على كل فرد ليس فى الجزائر فحسب وإنما فى تونس والمغرب كذلك . وأن توحيد المغرب العربى إنما يعنى أولا استقلال الجزائر وتحريرها واتحادها مع شقيقتيها تونس ومراكش ، وهو الاتحاد الذى تمليه طبيعة الصلات العربية المعنوية والمادية التى تربط منطقة المغرب العربى بعضها ببعض ، بدل ذلك الاتحاد المزعوم بين الجزائر وهى الدولة العربية فى شمال إفريقيا بفرنسا وهى الدولة الغربية الأجنبية فى أوربا .

على أن الوحدة فى شمال إفريقيا لا تقتصر على هذه البلاد الثلاثة تونس والجزائر والمغرب ، الوحدة بين هذه البلاد هى الخطوة الأولى فى هذا السبيل ؛ إذ من المعروف ان بشمال إفريقيا كذلك دولتين هامتين إلى جوار هذه البلاد الثلاثة ، وهما المملكة الليبية المتحدة والجمهورية العربية المتحدة . وإذا ما تبلورت هذه الخطوة الأولى واتضحت معالمها من الناحيتين السياسية والاقتصادية كان طبيعيا أن تؤدى الى إتمام الوحدة العربية الشاملة مع باقى البلاد العربية بما فيها تلك الكائنة بشمال إفريقيا ، وسوف يتحقق ذلك فى القريب إن شاء الله .

أحمد طه السنوسى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التوكل والتواكل

صفتان من الصفات الخلقية : أولاهما محمودة ، وثانيتهما مذمومة . ومعنى كل واحدة منهما محدد متميز . وقد اشتبه أمرهما عند الجاهلين واختلط عند المعادين ، وأولاهما يقرها الإسلام ويرضى عنها وتدور حولها تعاليمه وتصرفات المنتمين إليه على بصيرة ، وثانيتهما لا يقرها الإسلام ولا ترضى عنها تعاليمه ولم يسلكها المؤمنون ولا يشهد لها تصرف من تصرفاتهم ؛ لأنها رمز الكسل والخمول والإهمال والفوضى ، ومع هذا فقد ألصقها أعداء الإسلام بتعاليمه ، وهو منها براء كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ، ومنشأ هذا الزعم عندهم - فيما يبدو - ربما كانت أعمال بعض الجاهلين المنتمين إلى الدين الإسلامى الذين لم يشربوا فى قلوبهم تعاليمه ، ولا تلقوها عن مرشد بصير يحيط بالمبادئ السامية التى دعا إليه الإسلام ، وهى عمارة الأرض التى استخلف الله فيها الإنسان ، وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا . وليس الذنب واقعا على أعداء الإسلام أكثر مما يقع على المسلمين أنفسهم ، فهم قد قصروا فيما يجب عليهم من إجلاء تعاليم الإسلام وتوضيحها مشرقة تجذب إليها القلوب وتسترعى إليها الأنظار .

وإنا إذ نعود إلى بيان حقيقة التوكل والتواكل فى الإسلام نستوحى معنى كل منهما من كتاب الله الكريم ، ومن سنة نبيه الصحيحة ، ومن سلوك صاحب الرسالة وسلوك أتباعه الذين أشرقت قلوبهم بنور الإسلام ، وصفت أرواحهم بتعاليمه فالتوكل على الله صفة محمودة وطريقة مطلوبة أمر بها الدين وسلكها الأنبياء والمرسلون ، بعد أن علموا أن الله قد جعل لكل شىء سبباً يتبعه القاصدون للخير المبتغون الفضل من ربهم ، فهم قد أعملوا عقولهم ونظروا فى الكتاب المقروء وهو القرآن الكريم ، وفى الكتاب غير المقروء باللسان بل تقرأه العقول والأفهام وهو الكون كله علويه وسفليه جباله وبحاره ووهاده وكل ما خلق من شىء فى الأرض أو فى السماء . ولم يجعلوا على قلوبهم أكنة عن فهمهما ولا أغلفة عن تدبرهما ، بل تمنعوا فيهما ولم يكونوا من الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا ، بل عكفوا على دراستها ودأبوا على تفهمها وأحاطوا علماً بمثل قوله تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فالرزق من الأرض والحصول على خيراتها لا يأتى إلا لمن أجهد نفسه وقام بكل ما يتطلبه النبات من رعاية وعناية مع خبرة تامة وحصافة وآتى حقه كاملا غير منقوص .

وإذا ما نظرنا بعد القرآن الكريم وآياته الواضحة البينة ، وما أفصحت عنه من بيان الوسائل والطرق المؤدية لكل ثمرة من الثمرات التى يحتاج إليها الإنسان . إذا ما تركنا كل هذا وأجلنا الفكر فى سنة خير المرسلين ، رأيناه يقول (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا) فالحديث الشريف يوحى بأن الأسباب لابد من سلوكها للوصول إلى الغايات التى عليها تتوقف الحياة الصحيحة . فهو يهدينا إلى الوسيلة التى يسلكها الطير ليحصل على قوته وقوت عياله ، فالطير تغدو جياعا ساعية ناصبة عاملة على أن تحصل ما يحفظ حياتها وحياة أولادها ، والإنسان مكلف بالسعى والكد والنصب ليوفر وسائل العيش الرغيد ، وتقوى سواعده على أن يساهم فى بناء صرح العمران ، ويكون عضواً عاملا فى مجتمعه ، لا كلا عليه أينما يوجه لا يأت بخير ، فمثل هذا شر على مجتمعه ، وشر على دينه ووصمة عار فى جبين وطنه ، فهو الذى يجعل أعداء الإسلام يخوضون فيه ويلصقون به الكسل والخمول والتقاعد ، فعباد الرحمن المتوكلون عليه حق توكله هم الذين يمشون على الأرض هوناً ويسعون إلى تحقيق رسالة المؤمنين ، يجلبون لأنفسهم وقومهم خيرا ويدفعون عنهم شراً وضراً ، ويعلمون أن مشيئة الله قد سبقت وإرادته قضت بربط الأسباب بمسبباتها والوسائل بغاياتها ربطا لا يتحول ولا يتغير . قال الله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تحويلا » فهو يأمرهم عقب انتهاء الصلاة بالسعى والكد والعمل إذ يقول تعالى : « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله » وهو الذى ألهم أضعف مخلوقاته السعى فى طلب القوت فألهم النحلة أن تتخذ من الجبال بيوتاً ومن الشجر ثم تأكل من كل الثمرات فتخرج من بطونها شرابا مختلفا ألوانه فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وما أروع التوكل إذا كان بعد أخذ العدة وإعداد الوسائل . فهاهو القرآن الكريم يقص علينا مثلين من أروع الأمثال فى الثقة بالله والتوكل عليه ، فهؤلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابتهم جراح فى غزوة أحد ، ثم دعاهم الرسول لغزوة أخرى فاستجابوا لله والرسول واثقين من نصر الله ومعونته معتمدين على تأييده وقوته ، ولم يأبهوا بتعويق المعوقين ولا بتثبيط المثبطين ، ولم يوهن من عزيمتهم قول المخذلين إن خصومكم قد جمعوا لكم فاخشوهم ، بل زادهم ذلك يقينا وإيمانا وشجاعة وإقداما وقالوا « حسبنا الله ونعم الوكيل » فكان عاقبتهم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفوز والنصر والغلبة والغنم ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم . وقد قص القرآن الكريم ذلك فى قوله « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم » وفى غزوة الأحزاب التى جمعت قريش لها عدتها وجيشها وجيش حلفائها من أحزاب المشركين ليقضوا على الإسلام والمسلمين فما وهنوا وما استكانوا ، بل قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ، ولقد صدقهم الله وعده ، فأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وها هو القرآن الكريم يقص علينا ذلك إذ يقول : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليما» فهذا توكل بصير ناشئ عن عقيدة حقة ويقين صادق ، وهو الذى يأمر به الله تعالى فى قوله : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا » .

وقد رسم لنا الرسول الكريم طريق التوكل على الله فيما رواه عنه ابن عباس رضى الله عنهما قال « كنت خلف النبى صلى الله عليه وسلم يوما فقال : ياغلام ، إنى أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك . احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك . رفعت الأقلام ، وجفت الصحف » فهذه حقيقة التوكل التى يفرضها الإيمان على أتباعه . وهى أن يتخذ المسلم من سعيه وعمله وتفكيره وتدبيره وسيلة إلى تحقيق مطالبه ، وأن يأتى البيوت من أبوابها ولا يكون أحمق جاهلا يأتى البيوت من ظهورها ، بل يتلمس الغايات من أسبابها مع تيقن أنه لا رازق إلا الله ، ولا مطعم إلا الله ، ولا محيى ولا مميت إلا الله ، وأنه قادر على كل شيء ، وأن علمه محيط بكل شيء . ومن أجل العمل والسعى فضل الرسول عليه السلام المؤمن القوى على غيره إذ يقول « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير : احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز » .

وفى سيرة الرسول الكريم المنهج الواضح للسلوك القويم الذى يحقق المصلحة العامة ، فها هو الرسول الكريم يبدأ دعوته سراً مستخفياً عن أعين المعاندين لأن هذه الطريقة هى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الوسيلة التى كان يستطيعها فى ذلك الوقت وتلك الحقبة من أطوار رسالته . ثم جهر بعد ذلك بدعوته حيث تهيأت له الأسباب واستقامت له الأمور وسنحت له الفرصة وفى كلا الأمرين كان معتمداً على ربه ، مفوضا إليه أمره مخلصا إليه وجهه « ألا إلى الله تصير الأمور » . ثم تطورت دعوته واشتد كيد المعاندين له حتى ضاقت عليه وعلى أصحابه الأرض بما رحبت وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه . فأعدوا العدة وسارعوا إلى الهجرة من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم وانتصاراً لعقيدتهم ، ولم يحملهم توكلهم على الله على البقاء فى مكة أذلاء مضطهدين . بل انبعوا هدى رب العالمين إذ يقول : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم ؟ قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟ . » فالمؤمن الحق صاحب عقيدة الصدق لا يسلم نفسه إلى الهوان ويترك أسباب العزة والسلطان . فإن تركه الأسباب إعراض عن تعاليم الدين وتباعد عن سنة خير المرسلين . فالرسول عليه السلام جرت عليه سنة الله فى خلقه وأصابه ما أصاب إخوانه الأنبياء من قبل من أذى المعارضين وتخفيان المشركين ، فشج وجهه فى بعض الغزوات ودخلت حلقتا المغفر فى وجنتيه وسال دمه الزكى متدفقا لم يمنعه إلا وضع الرماد عليه .

وها هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه يتخذ للوقاية من الأمراض الوسيلة الناجعة التى يوحى بها الإسلام . وإليك ماصنعه للوقاية من الأمراض . فإن الصحابة رضى الله عنهم لما قصدوا الشام وانتهوا فى طريقهم إلى مكان يعرف بالجابية بلغهم الخبر أن بها طاعونا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين : فقال بعضهم لا ندخل على الوباء والطاعون فنلقى بأيدينا إلى التهلكة . وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل على الله ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله فيهم « ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت » فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه فقال : نرجع ولا ندخل على الوباء والطاعون . فقال المخالفون لرأيه : أتفر من قدر الله تعالى ؟ قال : عمر الملهم صاحب الفراسة الصادقة والنظر الثاقب والرأى السديد : نعم نفر من قدر الله تعالى إلى قدر الله . ثم ضرب لهم مثلا فقال : « أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فهبط بها واديا له شعبتان وناحيتان إحداهما مخصبة والأخرى مجدبة أليس إن رعى المخصبة رعاها بقدر الله ، وإن رعى المجدبة رعاها بقدر الله ؟ فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن بن عوف ليسأله عن رأيه إذ كان غائبا . فلما أصبح جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك فقال : عندى فيه يا أمير المؤمنين شىء سمعته من رسول الله صلى الله عليه

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وسلم ، فقال عمر : الله أكبر . فقال عبد الرحمن : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا سمعتم بالوباء فى أرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع فى أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه » ففرح عمر رضى الله عنه بذلك وحمد الله تعالى إذ وافق رأيه سنة خير المرسلين ، ورجع من الجابية بالناس .

هـــذا هو التوكل الذى أمر به الدين . وفهمه الصحابة الراشدون فأفلحوا فى جلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم . وها هو خاتم المرسلين قبل بعثته يرحل للتجارة ويسافر إلى الشام متاجراً فى مال خديجة رضى الله عنها ، وقد جاءه يوما رجل من الأنصار تبدو عليه الحاجة ويتعرض للسؤال فقال له : أما فى بيتك شىء ؟ فأجابه الأنصارى : إن فى بيتى فراشا ننام عليه وإناء نشرب به فيأمره بإحضارهما فيأخذهما منه ويبيعهما بدرهمين ثم يقول له : اشتر بأحدهما طعاما لأهلك وبالآخر قدوما واذهب به فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما . ففعل ، فجاء بعد ذلك وقد اكتسب من عمله عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها فراشا وببعضها طعاماً . فلما علم الرسول بذلك قال له « هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة » . فالرسول عليه السلام يحض على العمل بكل وسيلة ، ويحفز الناس عليه بكل طريق ، خوفاً من ذل السؤال الذى يأتى يوم القيامة وصمة عار ورمزا للكسل والخمول . فعلى العاقل أن يسلك فى حياته السبيل القويم .

عبد الله مصطفى المراغى

« حوالات السودان »

المرجو من مشتركى مجلة الأزهر فى السودان ، ومن كل من يرسل حوالات مالية إلى هذه المجلة ، أن تكون على « مكتب بريد الأزهر » تيسيرا للعمل . وإلا اضطرت إدارة المجلة إلى إعادتها لمرسلها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لغويات

أخلص فى طلب العلم ، لقيت جزاء عليه أم لا

هذا الأسلوب فاش بين الناس إذا أرادوا مثل هذا التعميم . والمتأمل فى الأسلوب يرى أن (أم) لامكان لها هنا . فهى إنما تقع بعد همزة التسوية أو همزة يطلب بها و بأم التعيين ، كما هو مقرر فى كتب النحو . وقد تقع للإضراب بمعنى بل مع الهمزة ودونها .

والصواب أن يؤتى بالحرف (أو) بدل (أم) فيقال : لقيت جزاء عليه أو لا . ومما جاء على هذا السنن قول الشاعر :

كن للخليل نصيرا جار أو عدلا ولا تشح عليه جاد أو بخلا

وهذه الجملة « لقيت جزاء عليه ... » جملة حالية . ويذكرها النحويون فى الجمل الحالية التى لايجوز أن يكون رابطها الواو . ويمثلون لذلك بقوله : لأضربنه ذهب أو مكث . لايصح أن يقال : وذهب أو مكث . ويقول الصبان فى تعليل هذا الحكم : « لأنه فى تقدير فعل الشرط ؛ إذ المعنى : إن ذهب وإن مكث ، وفعل الشرط لا يقرن بالواو ، فكذا المقدر به » . واستفادة الشرط من الأسلوب والسياق ، كما ترى . وينسب ابن هشام فهم الشرط إلى (أو) فهو يقول فى المغنى فى تعداد معانى أو : « الحادى عشر : الشرطية ، نحو لأضربنه عاش أو مات ، أى إن عاش بعد الضرب وإن مات . ومثله : لآتينك ، أعطيتنى أو حرمتنى ، قاله ابن الشجرى » .

وقد نبا البحترى عن هذا المنهج فى قوله ـ على رواية طيف الخيال ـ :

أهلا بذاكم الخيال المقبل فعل الذى تهواه أم لم تفعل

وقد يقال فى تسويغ هذا : إنه بناه على تقدير سواء . أى سواء أفعل الذى تهواه أم لم تفعل . ولكن هذا التخريج يستلزم حذف سواء أو الهمزة ، ولم يعهد مثل هذا ولم يأت فى كلام عربى يحتج به .

على أن مبعث هذا الخطأ تقارب أم وأو . حتى إن ابن كيسان يزعم أن أم أصلها أو ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أبدلت الواو فيها ميما ، ويرد عليه النحويون هذا الزعم ، ومن أراد هذا فليرجع إلى همع الهوامع للسيوطى . ومن آثار هذا التقارب أن (أو) تأتى فى مكان (أم) فى قولهم : ما أدرى أسلم أو ودع ، فالذى يأتى بعد (ما أدرى) هو أم المعادلة للهمزة . ولكن جاء عنهم هذا الكلام والنحويون يجعلون الحرف (أو) فيه للتقريب . ويقول الدسوقى فى كتابته على المغنى فى تعليل هذه التسمية فى هذا المثال : « أى لأنها قربت الوداع من السلام . وهذا المثال يقال لمن قال لمحبه : السلام عليكم ، ثم ودعه وانصرف ، وهو متعلق به . فالذى يدل على قرب الوداع من السلام أو . » . ومثل هذا المثال الذى جاءت فيه أو بدل أم قولهم : ما أدرى أ أذن أو أقام إذا أسرع بالأذان والإقامة . ويقول ابن جنى فى الخصائص ٢ / ١٦٩ فى تعليل هذا : « فهو أنه لم يعتد أذانه أذانا ولا إقامته إقامة ، لأنه لم يوف ذلك حقه . فلما ونى فيه لم يثبت شيئا منه » . وكأنه يريد أن المعادلة بأم تقتضى أمرين تامين عودل بينهما ، ولما كان الأذان والإقامة هنا للإسراع فيهما ناقصين لم يكن المقام لأم ، وأتى بأو . وهذا يرجع إلى التقريب الذى ذكره ابن هشام ، فإن الإسراع بهما يقضى بتقاربهما . فالأمر فيه كالأمر فى قولهم : ما أدرى أسلم أو ودع .

هدف ، أهدف ، استهدف

يكثر فى هذه الأيام استعمال هدف واستهدف . يقال : إن أولى الأمر يهدفون إلى إصلاح المجتمع ورفع الحيف والجور . وإنهم يستهدفون خير الناس .

والأصل فى هذا المعنى الهدف . وهو ما ينصب غرضا يرميه الرامى بالقوس ونحوها ليصيبه . وللنضر بن شميل تفصيل حسن فى هذا ، فهو يقول ـ على ما جاء فى اللسان ـ : « الهدف : ما رفع وبنى من الأرض للنضال . والقرطاس : ما وضع فى الهدف ليرمى . والغرض : ما ينصب شبه غربال أو حلقة » .

وقد قال العرب من الهدف : أهدف الشىء واستهدف أى انتصب كالهدف . يقال : أهدف لك الصيد فارمه ، واستهدف لك البلد إذا شخص لك وظهر حين تدنو منه .

ويرى القارىء أن أهدف واستهدف لازمان لا متعديان . وأنهما ينسبان للشىء ليرى لا للرائى ، فلا يقال أهدفت للصيد ولا استهدفت له . وإذا أريد التوسع فيما جاء عن العرب تقول : استهدف لى صلاح أخى إذا ظهر لك صلاحه ، واستهدف لى الخصب فى هذا العام ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وهكذا أهدف . فليس من سبيل إلى أن يقال : استهدفت صلاح أخي . فهذا يجافي ما جاء عن العرب من قبل تعديته . ولم يرد هذا عن العرب . ومن قبل الإسناد . فالاستهداف في هذا المثال لصلاح الأخ لا للمتكلم . فحري بالأدباء ترك استهدف فيما يستعملونه فيه .

على أن في أهدف ذروا من القول وبقية من حديث . فقد ورد في بعض ما أثر من الكلام متعديا . وذلك في قول حمدان بن أبان اللاحق من المحدثين :

أليس من الكبائر أن وغدا ... لآل معتل يهجو سدوسا
هجا عرضاً لهم غضاً جديدا ... وأهدف عرض والده اللبيسا

ـ اللبيس : الثوب يكثر لبسه فيبلى . أراد عرض والده يتناوله الناس باللهجاء والقدح حتى صار كالثوب اللبيس ـ فقوله : أهدف عرض والده أي جعله هدفا وغرضا للرمي بالمسبة والعاب ، فقد جاء به متعديا على خلاف ماجاء عن العرب . ويقول المرصفي في شرح الكامل ٦ / ٢١٨ عند إيراد المبرد هذا الشعر : « (وأهدف عرض والده) يريد : جعله هدفا يرمى . ولم أجد ذلك الفعل في اللغة » . وفي سيرة دحلان المطبوعة على هامش السيرة الحلبية عند الكلام على عرض الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل في الحديث عن مقابلته / وفد كندة . « قال قائل : أنهدف نحورنا للعرب دونك » . وأياما كان الأمر فالعصريون لا يستعملون أهدف ، وإنما ذكرت ما يتعلق به توفية المقام .

فأما هدف فلا ترد في اللغة للمعنى الذي تقال فيه اليوم . ولا تتصل بالهدف . وإنما يقال : هدف إلى الشيء : دخل فيه وهدف للخمسين من سنيه أي قاربها . ويقال أيضا : هدف إذا أسرع . ويصح تخريج المعنى العصري بضرب من المجاز . فهدف تستعمل اليوم في معنى قصد وتوخى ، والقصد إلى الشيء يكون سبباً في الدخول فيه ، وفي مقاربته ، وقد يكون سبباً في الإسراع إليه ، فيكون هذا من إطلاق المسبب على السبب ، وهذا كثير جار في اللغة. وقد نص اللغويون على أن مضارع هدف في معنى أسرع مكسور العين أي من باب ضرب . وأهمل صاحب القاموس مضارع هدف في معنى دخل وقارب وإذا عملنا باصطلاحه يكون هذا الفعل من باب نصر . فقد وضع أنه إذا أتى بفعل ولم يأت بمضارعه فهو من هذا الباب وضم الدال في يهدف هو ما نسمعه في الإذاعة في هذه الأيام .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

القناقن والقناء

كثر فى هذا العصر استنباط المياه الأرضية (الجوفية) ، واستنباط النفط (البترول) . وقد اخترعت آلات دقيقة لتعرف النفط أو الماء فى أعماق الأرض البعيدة ، يقوم بها مهندسون وخبراء تخصصوا بها . وهم يأتون فى هذا الباب بما يلتحق بالعجائب . إذ يفجرون الماء من الصخر الصلد ، والنفط فى البلد المحل والحجر الأصم .

وقد كان العرب من همهم تعرف الماء تحت الأرض فى حفر الآبار ، ويبدو أنه كان فيهم خبراء بصراء بهذا الأمر ، وقد جاء عنهم دعاء البصير بهذا بالقناقن والقناء ، حتى ليصح القول بأنه كان فيهم مهندسون لهذا الغرض.

فقد جاء فى اللغة أن القناقن : البصير بالماء تحت الأرض ، وفى عبارة بعض اللغويين أنه المهندس الذى يعرف الماء تحت الأرض ، ويقول بعضهم : إنه هو الذى يتسمع فيعرف مقدار الماء فى البئر قريبا أو بعيدا .

ومن علم العرب أن الهدهد يبصر الماء تحت الأرض . وجاء فى سورة النمل فى حديث سليمان عليه الصلاة والسلام أنه تفقد الطير فلم ير الهدهد فسأل عنه حتى جاءه الهدهد بخبر الملكة ذات العرش العظيم .

وقد سئل ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ : لم تفقد سليمان الهدهد بين الطير ؟ فقال : لأنه كان قناقنا يعرف مواضع الماء تحت الأرض . وفى القاموس : « الهدهد قناء الأرض ومقنيها أى عالم بمواضع الماء منها » .

وإنى أرى أنه يحسن تسمية مهندس استنباط الماء أو النفط بالآلات الحديثة بالقناقن أو القناء .

نيل المعدن

يذكر الفقهاء فى مبحث إحياء الموات نيل المعدن لما يخرج منه . والنيل فى الأصل العطاء ، فكأن ما يخرج من المعدن عطية يجود بها على معالجيه ، ويذكرون من المعدن النفط والكبريت . ويعبر العصريون عن هذا المعنى بالإيراد ، فيقال : إيراد بئر النفط كذا ، والأولى الرجوع إلى النيل ، فيقال : نيل البئر كذا إحياء لهذه الكلمة ، وهكذا يقال فيما جرى هذا المجرى .

محمد على النجار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

دعائم المنهج الخلقى الاسلامى

— ٢ —

الدعامة الخامسة : طهارة القلوب وصفاء النفوس ، فقد عنى الإسلام بتطهير القلوب من كوامن الحقد والضغينة ، وسوء القصد وخبث الطوية ، وتصفية النفوس من شوائب الرياء وأوضار النفاق .

فأمر المسلمين بالمسالمة والتوادد ، والتآخى والتآلف ، وحثهم على التعاطف والتراحم ، كما فى قول الله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » ، « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » ، « إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » وقوله صلى الله عليه وسلم (لا يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) ، (المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف) ، (ومثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) وبذلك جمع الإسلام بين المسلمين برباط روحى وثيق ، يجمع قلوبهم ويوحد صفوفهم ، ويمهد لهم سبيل التعاون والتناصر فى دينهم ودنياهم .

ورغبهم فى العفو والصفح ، وكظم الغيظ والتسامح ، والتجاوز عما يقع بينهم من الهفوات والعثرات ، والأخذ بالأيسر من الأمور فى المعاملة والمعاشرة ، إبقاء على ما بينهم من الروابط والصلات ، كما فى قوله تعالى : « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين : الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين » ، « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ، ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم » وقوله صلى الله عليه وسلم « من كظم غيظا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنا وإيمانا » ، « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » وقوله صلى الله عليه وسلم للأشجع حين وفد عليه « إن فيك يا أشجع خلقين يحبهما الله ورسوله ، قال ماهما يا بى أنت وأمى يا رسول الله ؟ قال : الحلم والأناة » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فكظم الغيظ عندما تغلى مراجل الغضب فى القلب ، وعدم إنفاذه مع القدرة على الانتقام والتشفى ، ودفع السيئة بالتى هى أحسن . كدفع الغضب بالصبر . والجهل بالحلم ، والإساءة بالعفو . والترفق والتأنى فى تدبير الأمور وتصريفها . هى المواقف التى تتجلى فيها الإرادة القوية والصبر الجميل . والسيطرة على أهواء النفس ونزغات الشيطان . وهى المظاهر الخلقية التى تدل على صفاء النفوس وطهارة القلوب ، والتى لا يوفق إليها إلا الذين صبروا ، ولا ينال فضلها إلا ذو حظ عظيم .

فالواجب على المسلم أن يكون سمح الطبع كريم النفس ، لين العريكة نبيل العاطفة ، مالكا لقياد نفسه وهواه ، يتقبل معاذير أهل الهفوات والعثرات ، ويعفو عمن نبا به اللسان أو زلت به القدم ، ويؤثر ما عند الله من حسن الجزاء وعظيم الأجر ، على الانتقام والتشفى من غيظه ، فما عند الله خير وأبقى ، وأمرنا بإصلاح البواطن والسرائر ، والإخلاص لله فى القول والعمل ، وحذرنا من انطواء الصدور على الحقد والضغينة وسوء الطوية ، كما فى قوله تعالى : « واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم فاحذروه » ، « وهو الله فى السموات وفى الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ماتكسبون » ، « وإن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله » ، وذم النفاق وأهله ، وأنذرهم بأن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ويحصى عليهم أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى « ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب » « أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون » وهددهم بأشد أنواع الوعيد والتهديد ، وجعلهم فى الدرك الأسفل من منازل الجحيم ، كما قال جل جلاله « بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما » ، « إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا » وكشف لنا عن أخلاقهم وخبث طوياتهم ، وتلونهم فى سلوكهم ومعاملاتهم ، لنأخذ حذرنا من عدوى أخلاقهم والوقوع فى شرورهم ومفاسدهم ، فبين أن من أخص أخلاقهم وخلالهم ، أنهم يخادعون ويراءون فى أقوالهم وأعمالهم ، ويظهرون من الأقوال والأعمال خلاف مايبطنون . كما قال تعالى « إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ، مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا » وأنهم يستخفون من الناس فى تدبير خياناتهم ومؤامراتهم فى الخفاء ، ولا يستخفون من الله الذى يعلم سرهم ونجواهم ، ويرى ويسمع حركاتهم وسكناتهم ، كما قال عز شأنه : « يستخفون من الناس

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا » وأنهم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون ، كما قال تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض قالوا إنما نحن مصلحون . ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » ، وأنهم إذا حدثوا كذبوا فى حديثهم ، وإذا عاهدوا غدروا بعهدهم ، وإذا وعدوا أخلفوا وعدهم ، وإذا خاصموا فجروا فى خصومتهم ، كما يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا . ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها : إذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر » .

ومن هنا يتضح لنا أن المؤمن الصادق فى إيمانه ، هو الذى لا ينافق ولا يتلون فى قوله وعمله ، ولا يدبر للناس بليل ، ولا يكيد لهم فى الخفاء ، ولا يطعن فى ظهور الغافلين عن خيانته وغدره ، ولا يكذب إذا حدث ، ولا يغدر إذا عاهد ، ولا يخلف إذا وعد ، ولا يفجر إذا خاصم ، ولا يخون إذا اؤتمن ، لأنه يؤمن بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، وأنه تعالى يحصى على العباد كل مايقولون ويعملون ، ويحاسبهم بما يبدون وما يخفون ، هذه هى الشخصية التى تتمثل فيها روح الإيمان وأخلاق الإسلام ، وإنما عنى الإسلام بشأن النفاق كل هـــذه العناية ، لأن النفاق هو الداء الدفين الذى تنفثى جراثيمه فى كل مجتمع ، والخديعة التى تدخل على الناس فى ألوان مختلفة وبأسماء مزيفة ، فيدخل عليهم تارة باسم الدهاء وسعة الحيلة ، وتارة باسم المهارة والسياسة ، وتارة باسم مجاراة الظروف ومسايرة الأحوال ، وهكذا تتعدد الألوان والأسماء ، ولكن الحقيقة واحدة وهى النفاق .

وهو الذى يقلب الحقائق والأوضاع ، ويوجب اختلال موازين الحكم على الأقوال والأفعال ، ويطمس معالم الفوارق بين المصلحين والمفسدين ، ويصور أهله الناس على غير حقيقتهم . فتراهم يلبسون لباس الأخيار وهم الفجار ، ويظهرون بمظهر الأحرار الأعزة وهم العبيد الأذلة ، ويزعمون أنهم المصلحون وهم المفسدون ، ويدعون أنهم دعاة المبادئ وقادة الإصلاح ، وهم فى حقيقة أمرهم لا مبدأ لهم ولا عقيدة ، ولا عهد لهم ولا ذمة ، وإنما هم يسيرون فى ركاب كل سائر ، ويستمعون لكل هامس ، ويستجيبون لكل ناعق ، ويطيرون مع كل عاصفة . وينحازون إلى كل طاغية ، إذ ليس لهم رائد من الحق يلتزمون طريقه ، ولا هدف من الإصلاح يسلكون سبيله ، وإنما رائدهم مرض القلوب وطاعة الأهواء . وهدفهم تحقيق المآرب الشخصية ولو كان ذلك على حساب المبادئ والأخلاق .

الدعامة السادسة : عفة اللسان والمنطق ، وهى كف اللسان عن فضول الكلام ولغوه ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

والخوض فى أعراض الناس وأسرارهم ، وصونه عن كل ما يكدر صفو الروابط الإسلامية والصلات الإنسانية ، فقد خصها الإسلام بنصيب كبير من العناية والرعاية :

فأمر بالصدق وحث على التخلق به ، ونهى عن الكذب وحذر من سوء عاقبته ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين » وقوله صلى الله عليه وسلم : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

وحرم الغيبة والنميمة ، والسباب والفحش ، كما فى قوله عز وجل : « يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم » وقوله تعالى : « ولا تطع كل حلاف مهين ، هماز مشاء بنميم ، مناع للخير معتد أثيم » وقوله صلى الله عليه وسلم « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » ، « إن شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة ، من تركه الناس اتقاء شره ، وفى رواية اتقاء فحشه » .

والهماز هو العياب المغتاب ، والمشاء هو النمام الذى يسعى بين الناس بالكلام بقصد الإفساد والوقيعة .

ونهانا عن السخرية والتنابز بالألقاب ، وتحقير الناس وازدرائهم ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ، ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب ، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون » وقوله صلى الله عليه وسلم (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه » ، « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » .

وبين لنا أن استقامة اللسان هى سبيل النجاة والسلامة ، وأن انحرافه طريق الهلكة والندامة ، كما جاء فى حديث عقبة بن عامر ، قال قلت : يارسول الله ما النجاة ، قال : (أمسك عليك لسانك ، وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك) وكما فى قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل (ألا أخبرك بملاك الأمر كله ، قال بلى ، قال : كف عليك لسانك ، قال : يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك يامعاذ ، وهل يكب الناس فى النار

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم !) وقال : على كرم الله وجهه فيما يروى عنه « والله ما أدرى عبدا يتقى تقوى تنفعه حتى يخزن لسانه ، وإن لسان المؤمن من وراء قلبه ، وإن قلب المنافق من وراء لسانه، لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام تدبره فى نفسه ، فإن كان خيرا أبداه . وإن كان شرا وراه ، وإن المنافق يتكلم بما أتى على لسانه ، لا يدرى ماذا له وماذا عليه. ولقد قال : رسول الله صلى الله عليه وآله : (لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه) .

الدعامة السابعة : الصبر ، وهو من أجل الدعائم منزلة وأعظمها أثراً ، بل هو ملاك الدعائم وقوامها ، ولهذا عنى الإسلام بشأنه عناية كبرى ، وتحدث عنه القرآن فى نيف وسبعين موضعا .

فأمر به وأكبر من شأنه ، كما فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون » ، « وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين » ، « يأيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين » .

ومدح الصابرين وأجزل لهم العطاء والأجر ، كما قال عز وجل : « ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة ، وأولئك هم المهتدون » ، « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » . « ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون » ، « إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب » ، وهكذا جمع الله للصبر من درجات الفضل والكرامة ما لم يجمعه لغيره ؛ لأن الصبر هو قوام أمر الدين والدنيا ، فهو عدة الإنسان فى الكفاح والنضال ، وحمل أعباء الحياة وتكاليفها ، ومغالبة الشدائد والأحداث ، واجتياز العوائق والعقبات ، والعاصم الذى يعصمه من الاستسلام لليأس والجزع ، والملاذ الذى يلوذ به فى حمل النفس على الرضا بأحكام القضاء وتصاريف القدر ، والظهير الذى يستعين به على القيام بحقوق الله وحقوق العباد ، والمعتصم الذى يعتصم به فى كبح جماح الغرائز والشهوات ، وكظم الغيظ والسيطرة على نوازع الشر والغضب ، وترويض النفس على التخلق بمكارم الأخلاق والترفع عن سفسافها . وهو الوسيلة لاستنزال المدد الغيبي والنصر الإلهى ، والسبيل إلى بلوغ الغايات وتحقيق الآمال . ؟

يس سويلم طه

المفتش بالأزهر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

برامج ومناهج

لم يعد دعاة الشر يقنعون بالكلام فى هذه الأيام . ولم يعد شرهم مقصوراً على محاولة نشر سمومهم بالدعاية لها . فقد انتقلوا الآن من مرحلة الكلام إلى مرحلة العمل ، بعد أن نجحوا فى التسلل إلى مناصب تمكنهم من أن يدسوا برامجهم ومناهجهم على المسئولين من رؤسائهم وينفذوها فى صمت . ودعاة الشر هؤلاء يعملون فى ميادين كثيرة لا يكاد يخلو منهم ميدان . ولكن أخطر ما يكون إفسادهم إذا تسلل إلى ميدان التعليم . لذلك رأيت أن أكشف فى هذا المقال عن بعض أساليبهم فى هذا الباب .

كان الناس يناقشون الاختلاط ، هل هو جائز أو غير جائز . وهل هو مفيد أو ضار . وكانت تثيرهم فوضى الجنس التى يروجها القوصى فى مطبوعات فرانكلين تحت ستار الدراسات النفسية . فإذا هذا الاختلاط يصبح حقيقة واقعة بطريق مأتو خفى لم يكد يتنبه إليه أحد ، بعد أن طالت المرحلة الابتدائية إلى ست سنوات يتجاور فيها الذكور والإناث . ومن المعروف أن الإناث فى بلادنا يدخلن سن المراهقة فى وقت مبكر لا يتجاوز السنة الحادية عشرة فى كثير من الأحيان . بل لقد أصبحنا أمام بعض المدارس المختلطة فى مرحلة التعليم الإعدادى ، بعد أن تكشفت تجربة الاختلاط فى الجامعة عن مآس لا يستطيع تجاهلها إلا مكابر أو مدلس . وأصبح هذا النظام ضرباً من ضروب الإلزام لا يستطيع والد أن يفر منه أو يتفاداه ، لأن عليه أن يختار بين أن يبعث بابنه وبابنته إلى هذا الوسط وبين أن يحرمهم من التعليم ويحجبهم فى ظلمات الجهل . بل إنه لا يستطيع اختيار الطريق الثانى ـ على ظلمه وظلامه ـ لأن قوانين الدولة تجبره على أن يعلم أولاده حتى نهاية هذه المرحلة الأولى على الأقل .

وكان الشعوبيون يروجون للهجات السوقية المحلية التى يسمونها العامية بمختلف الأساليب وكان أعداء العروبة والإسلام يتحايلون فى انتزاع الدراسات العربية من حضانة الدين والقرآن ، حتى قال قائلهم : « فالذين يزعمون لنا أننا نتعلم العربية ونعلمها لأنها لغة الدين فحسب ، ثم يرتبون على ذلك ما يرتبون من النتائج العلمية والعملية إنما يخدعون الناس ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وليس ينبغى أن تقوم حياة الأمم على الخداع ؛ فإن اللغة العربية ليست ملكا لرجال الدين يؤمنون وحدهم بها ، ويقومون وحدهم من دونها ، ويتصرفون وحدهم فيها . لكنها ملك للذين يتكلمونها جميعاً من الأمم والأجيال . وكل فرد من هؤلاء الناس حر فى أن يتصرف فى هذه اللغة تصرف المالك متى استوفى الشروط التى تبيح له هذا التصرف . وإذا فمن السخف أن يظن أن تعليم اللغة العربية وقف على الأزهر الشريف والأزهريين ، وعلى المدارس والمعاهد التى تتصل بينها وبين الأزهر والأزهريين أسباب طوال أو قصار . هذا سخف لأن الأزهر لا يستطيع أن يفرض نفسه على الذين يتكلمون اللغة العربية جميعاً وفيهم المسلم وغير المسلم (١) » والغرض الذى يرمى إليه صاحب هذا الكلام من قطع الصلات التى تربط الدراسات العربية بالدراسات الإسلامية هو أن ينزع عن العربية قداستها ويحرمها من حماية الدين وحضانته ليكشفها أمام أعدائها ويعينهم على الإجهاز عليها بعد أن يفردها من كل نصير أو معين . ولم يستح صاحب هذا الكلام وشيعته أن يتخذوا مجمع اللغة العربية فى القاهرة ومكاتب جامعة الدول العربية ومؤتمراتها ميدانا لنشاطهم ، فدعا أحدهم فى المؤتمر الأول لمجامع اللغة العربية بدمشق إلى تأليف معاجم محلية لا يثبت فيها إلا ما بقى من لهجات العرب حيا فى عامية كل إقليم . ودعا آخر إلى إعادة النظر فى تبويب النحو وتدوينه من جديد . وكان ذلك كله كلاما فى كلام . فإذا بنا الآن أمام هذه المشاريع جميعاً منفذة فى كتب القوصى وشركاه المشهورة بكتب « شرشر » أو « جلا جلا » . وفى كتب النحو الجديد التى يتولى إبراهيم مصطفى توجيهها . ولم يثنهم عن عزمهم ما قرره مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول فى دمشق من أن مشاريعهم تحتاج إلى مزيد من الدرس والمراجعة والتمحيص ، بل لقد استصدر قسم للغة العربية فى إحدى كليات الآداب منذ ثلاث سنوات قراراً بإنشاء شعبة سماها « شعبة الدراسات العربية الحديثة » ، أخلى الدراسة فيها من النحو والصرف والبلاغة ومن الشعر العربى ونصوص الفصحى ومن الأدب العربى والتاريخ الإسلامى ومن القرآن والحديث ، وجعل مكان ذلك كله « دراسات لغوية حديثة » و « التطور اللغوى العربى فى العصر الحديث » و « واللهجات العربية الحديثة » و « الأدب

---

(١) الفقرة ٣٦ من كتاب « مستقبل الثقا ر » لطه حسين ص ٢٣٠ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الشعبي » و « المذاهب الكبرى فى الآداب الأوروبية » و « مدارس القصة » و « تطور الفكر الإسلامى فى العصر الحديث » .

وكان أعداء الإسلام من عمال الاستعباد والتبشير وسماسرة الصهيونية الهدامة يشنعون بجمود علماء الشريعة الإسلامية أو من يسمونهم خطأ (رجال الدين الإسلامى) ، وينددون بتخلف الأزهر عن ركب الحياة بزعمهم . فإذا بنا نفاجأ بأحد أعضاء (لجنة التربية الدينية) بوزارة التربية والتعليم يقترح إنشاء شعبة للدراسات الإسلامية فى كليات الآداب لتخريج مدرس الدين الإسلامى المرن الذى يستطيع أن يساير الزمن .

هذه بعض أمثلة تصور الأسلوب الجديد الذى يعتمد على (الغزو من الداخل) - إن جاز لى أن أستعير تعبير المستر دالاس - الذى لم يعد أصحابه يقنعون بالدعاية وباجتذاب الأنصار والاستكثار منهم عن طريق الإقناع أو الإغراء أو الإرهاب . إنهم يعتمدون فى أسلوبهم الجديد على أفراد عصابتهم الذين نجحوا فى التسلل إلى مراكز القيادة . فأصبح فى استطاعتهم أن يجعلوا من أوهامهم التى لم ينجحوا فى إقناع الناس بها حقيقة واقعة بقرار أو بجرة قلم كما يقولون . ولأوضح قليلا بعض ما فى كلامى السابق من إجمال .

كتب (القراءة الجديدة) المتداولة فى الإقليم المصرى ، التى وضعتها لجنة تعمل بتوجيه عبد العزيز القوصى وسعيد العريان تعتمد على أسلوب جديد لا يمكن أن نصفه بأنه عربى مهما اجتهد أصحابه فى تبريره ؛ بما يزعمونه من أن كلماته التى تبدو من عامية مصر يمكن أن تجد سنداً من معاجم اللغة يصلها بإحدى لهجات العرب . هذه الكتب لا تتجنب الفصيح الذى أجمع عليه العرب والمسلمون لغرابته أو لثقله ، ولكنها تتعمد إهماله لأنها تريد أن تهمله وأن تجعل استعمال لهجة الأسواق فى الكتب المدرسية أمراً واقعاً مقرراً . وهم يعلمون حق العلم أن هذه الكلمات الملتقطة من أسواق مصر وطرقاتها - مهما جاءوا بأشجار للأنساب تثبت عروبتها - ليست عامة فى بلاد العرب جميعاً . فهى مجهولة فى بعضها ، وهى مستعملة بمعنى آخر فى بعض آخر ، لأن الفصحى التى تجمع العرب بل المسلمين اليوم هى فصحى قريش خاصة التى نزل بها القرآن والتى دون بها الحـ الفقه والأدب وكل ما أثمرته الحضارة العربية من علوم وفنون ، وهى أفصح لهجات الـ لها دون نزاع ، فرضتها صلاحيتها ونشرتها قبل أن ينزل بها القرآن ، فكان اختلاف قبائلهم يكتبون شعرهم بها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا يستعملون لهجات قبائلهم إلا فى ضرب من ضروب الأدب المحلى المسف الذى يقرب مما يسميه بعض الناس اليوم الأدب الشعبى ، وهو الرجز . فهذه الكتب الجديدة التى يراد بها تقرير لغة جديدة للتدوين . وإحقاق باطل فشل أصحابه فى إقناع الناس به رغم ما بذلوا له من دعاية طوال نصف قرن أو يزيد ، تريد فى محى القومية العربية أن ترد العرب إلى ما قبل الجاهلية .

على أن الكلمات السوقية (الملتقطة من أسواق مصر وطرقاتها) التى يصر القوصى والعريان وشركاؤهما على استعمالها لها ما يقابلها من الفصيح المستعمل المأنوس . بل إنهم يعدلون فى أكثر الأحيان عن الفصيح السمح الجميل إلى السوقى السمج الثقيل ، فى مثل : (العسكرى ، حلق عليه ج ٢ ص ٢٩) (حطت اللحم فى الحلة ٢ : ٣٧) (مبسوط ٢ : ٤٠) (شاف ٢ : ٥٠) (زيطة ١ : ٦٠) (استغرب ٢ : ٧٢) (زعلان ٣ : ١٠) (ابن الحلال ٣ : ١١) (بص ٢ : ١٤) (حطها فى القفص ٣ : ٤٣) (ينظرون إلى القمر فيتهيأ لهم أشكال غريبة ٤ : ٦٥) (المخدة ٤ : ٨٩) (زاحنى فى البحر ٤ : ٩١) (يتزحلق ٤ : ٩٢) . فمقابل هذه الكلمات من الفصيح مشهور خفيف شائع ، وهو ـ على الترتيب السابق : الشرطى ـ اعترضه أو وقف فى وجهه (أو فى طريقه) ـ وضعت اللحم فى القدر ـ مسرور ـ رأى ـ ضوضاء أو ضجيج أو لغط ـ دهش أو عجب ـ غضبان ـ ابن الكرام ـ نظر ـ وضعها فى القفص ـ يتخيلون (أو يتوهمون) أشكالا غريبة ـ الوسادة ـ دفعنى إلى البحر ـ يزلق .

هل يرى القارئ مبرراً لإهمال هذه الكلمات الفصحى التى هى قدر مشترك بين سائر العرب وأصحاب الثقافات العربية من المسلمين ؟ أليست هذه الكتب هى التنفيذ العملى لاقتراح أحمد عبد السلام مندوب حكومة تونس ـ ولا أقول مندوب تونس ـ فى مؤتمر مجامع اللغة العربية الذى دعا فيه إلى (أن تؤلف لكل قطر معجما صغيراً لا يتضمن إلا الألفاظ العربية الفصيحة التى بقيت مستعملة بمعناها الأصلى فى لغة ذلك القطر ، وأن يوصى معلمو الأحداث والعامة بالاقتصار عليها قدر المستطاع) ؟ .

وإنى لأتساءل : كيف السبيل إلى إخراج هذه الكلمات من عقول الصغار بعد أن تنقش نقشاً فى حافظتهم الغضة الحساسة ؟ ثم إنى أتساءل : أين يتعلم صبية العرب وشبابهم فصحاهم الجامعة لشملهم إذا لم يتعلموها فى المدارس ؟ ثم إنى أتعجب لما تحويه هذه الكتب ـ وكتب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المطالعة فى عمومها ـ من تفاهات غثة تبدد أعمار التلاميذ فى سخافات لا تفيد أسلوبا ولا ثقافة ولا خلقا . فهى لا ترتفع فى معظم محتوياتها عن تسجيل الواقع المسف ، المنافى للدين وللخلق المهذب فى كثير من الأحيان ، من مثل وصف (الحاوى) وسائس القرود ، وعادات الناس ـ وجهالهم خاصة ـ فى زيارات الأضرحـــة وفى الأذكار ، ووصف مجتمعاتهم فى الموالد وفى المناسبات وفى الأسواق ، وتسجيل أساليب الباعة المتجولين فى ترويج بضائعهم ولفت المشترين إليها . لماذا نفوت على التلميذ فرصة التحصيل المثمر أنشط ما تكون حافظته وأحد ما تكون ذاكرته قدرة على الاستيعاب السريع العميق ؟ كنا نشب على جملة من نصوص رائعة لأعلام الشعر والأدب فى مختلف العصور ومن شتى بلاد العرب ، وكنا نروض أذواقنا وأخلاقنا على طائفة من قصص نافعة تمجد ضروبا من البطولة العربية والإسلامية ، فاستبدلوا بذلك كله هـــذه السخافات الغثة . التى لا تعين على تكوين الملكة العربية أو الذوق العربى .

وحجة أصحاب هذه المناهج تنحصر فى أنهم لا يقدمون للنشء إلا ما يلائم عقولهم وتفكيرهم ، وأنهم يتجنبون تكليفهم حفظ ما لا يستطيعون تدبره وفهمه . ومن المسلم به أن الصبى لا يعى كل ما يحفظه وعيا كاملا ، ولكن لا ينبغى أن يفوتنا أنه يختزنه إلى أن ينضج عقله فيستخرج هذا المدخر آنا فآنا ليتدبره ، ولو سلمنا باستبعاد كل ما لا يستطيع الصبى أن يتدبره فى صباه لا نبنى على ذلك استبعاد تعليمه أن الأرض كرة وأنها تدور ، واستبعاد تعليمه أن الله سبحانه وتعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ولما كان هناك محل لحفظ القرآن أو تعليم الدين والعبادات ـ وإن كان ذلك هو فعلا مذهب بعض التربويين الذين نقعوا أدمغتهم فى الثقافة اللادينية ـ والحقيقة التى ينبغى أن يقوم عليها تصورنا لهذه الأمور ـ بقطع النظر عن كل ما يستورده التربويون من قواعد عرجاء لا يعرف أحد مصدرها ولا الأغراض التى صنعت من أجلها ـ هو أن الصبا زمن نشاط الذاكرة وحدتها وما أصدق ما كان يردده آباؤنا من أن (التعلم فى الصغر كالنقش فى الحجر) .

فيجب أن تستغل هذه الحدة إلى أبعد حدود الطاقة وبقدر ما يسع الجهد ، ثم يجىء وقت ينمو فيه التفكير وتضعف الذاكرة فى الوقت نفسه ، وعند ذلك يتدبر الرجل ما حفظ فى صباه ، ويصبح لكثير مما كان يردده من غير وعى معنى جديد ، والإنسان من هذه الناحية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

يشبه فى تفكيره الحيوان المجتر فى طعامه ، يختزن مادة التفكير حين تتاح له فرصة الاختزان ثم يعيد استخراجها فى وقت متأخر لكى يهضمها ويتدبرها ، ولو أنه ترك فى صباه حفظ ما لا يدرك كل معناه ، لما أمكنه أن يحفظه عند نضج تفكيره ، لأن التفكير ينمو على حساب الذاكرة .

وهناك حقيقة ينبغى أن لانغفل عنها أو نهملها ، وهى أن الشخصية العربية هى القاعدة التى تستند إليها القومية العربية . والشخصية العربية تقوم على تشابه أذواق العرب وملكاتهم . وهذا التشابه يرتبط ارتباطا وثيقا بتراثنا الثقافى العريق وبعالقة الشعر والأدب خاصة . الذين سجلوا مثلنا العليا إيجابا وسلبا فى شعر الحماسة والأدب والرثاء والهجاء ، وفى الخطب وفى الرسائل بمختلف صنوفها ، بين ديوانية وإخوانية ووصفية ووعظية وأخلاقية . فإهمال أدبنا القديم وتوجيه أكثر العناية إلى الأدب الحديث ، بل التافه منه فى الأعم الأغلب ، وتجنب ما كان منه على منوال القديم جزالة وروعة وفخامة أسلوب واحتفالا بالمعانى الكبار ، خليق أن يعين على تدعيم ما يدبره بعض المفسدين فيسلكون إليه مختلف المسالك ويعالجونه بشتى الأساليب ، حين يسعون إلى فصل حياتنا الراهنة والمستقبلة عن مصادرها القديمة حتى تتفرق جماعتنا ويتشتت شملنا ، وحتى لاتكون أخلاقنا امتدادا لخلق آبائنا ، ولا تكون أذواقنا امتداداً لأذواقهم ، ولا تكون لغتنا وأساليبنا امتداداً للغتهم وأساليبهم ، وحتى لاتكون مذاهبنا فى الفن والأدب امتداداً لفنونهم وآدابهم ، بل لايكون إسلامنا امتداداً لإسلامهم . فإذا نجحت هذه العصابة فى أن يجعلوا (المجتمع الجديد) الذى يتحدثون عنه مقطوع الصلة بماضينا فى الدين وفى اللغة وفى العادات وفى الذوق الفنى وفى المزاج وفى التقنين الخلقى . فأى جامعة يمكن أن تجمعنا عند ذاك ؟ وأى طابع يمكن أن يميزنا عن غيرنا من سائر خلق الله ويجعل لنا الحق فى أن نقول إننا قوم ، إننا عرب ؟ ما أيسر أن نكون عند ذلك تبعا لسادة الشرق أو الغرب وذيلا لكائن من كان ممن يريد أن يستلحقنا كما كان السادة يستلحقون العبيد فى عصور الرق .

أقول ذلك وأنا أعلم أن هذه الأساليب الفاسدة كلها حائلة زائلة إن شاء الله ، وأنها لن تقوى على مقاومة مد القومية العربية الذى لايزال يعلو ويرتفع . وبوادر ذلك وطلائعه واضحة فى كثير من كتب هذا الأسى التى خضعت برامجها للاتفاقية الثقافية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولكنى انتهزت الفرصة لأنبهُ فى هـذا المقام إلى أساليب يعتمد مروجوها أكثر مايعتمدون على غفلة الناس عنهم وجهلهم حقائق مايهدفون إليه ، ولألقى الضوء على بعض ما يدبره المفسدون فى الظلام .

وأصحاب النحو الجديد ، أو مايسمونه (تيسير النحو) ، شعبة من تلك الفرقة الموكلة بهدم تراثنا وقطع كل صلة تربطنا به . فهم لايهدمون لأن الهدم هو وسيلتهم إلى البناء من جديد كما يزعمون ، ولكنهم يهدمون فى حقيقة الأمر لأن الهدم هو هدفهم وغايتهم . وهم بهذا الهدم يمهدون الأرض ويسوونها لبناء جديد ولكنه للأجنبى لا لنا ، ويمحون كل ما فى صحفنا لتصبح صحفا بيضاء يسطرون فيها أو يسطر فيها الذين يسخرونهم لما يعملون من بعد مايشاءون . نعم أصحاب القواعد الجديدة شعبة من هذه الفرقة . وقواعدهم الجديدة ليست إلا أسلوبا فى الهدم .

زعم أصحاب القواعد الجديدة أن قواعد النحو التى صنعها اثنا عشر قرنا سخيفة معقدة . وزعم لهم صاحبهم أنه سيلخص لهم هذه القواعد فى كلمات . فقسم الكلام إلى مسند ومسند إليه وتكملة ، وسمى كلامه هذا تيسيراً . والوصف الصحيح له أنه تعقيد ، لأن الاصطلاحات المتداولة ـ ولا أقول القديمة ـ أدنى إلى عقل الناشئ وتصوره . ومن الذى يخطئ فى فهم مدلول كلمة « فعل » و « فاعل » . إن الأمى الجاهل والساذج الذى لاحظ له من الثقافة النحوية يستعمل هذه الكلمات بمدلولاتها النحوية فى حديثه اليومى المألوف . الخفير والشرطى يسأل : من (الفاعل) ؟ ويقول : قبض على (الفاعل) ، ويقول : (الفاعل معلوم) أو (الفاعل مجهول) . والفلاح فى حقله يقول : ذا (فعل) الكرام وذا (فعل) اللئام ، ويسأل : ما (الخبر) ؟ هذه هى المصطلحات التى استبدلوا بها (المسند) و (المسند إليه) ، فسموا الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ مسنداً إليه ، وسموا الفعل والخبر مسنداً . وإدراك معنى هاتين الكلمتين يحتاج إلى تصور الإسناد ، وهو فكرة عقلية لايمكن بحال أن توصف بأنها أقرب إلى أفهام الصبية من المصطلحات الجارية المتداولة . فإذا كان المقصود هو التبسيط والتيسير حقا كما يزعمون فلا شك أن الفعل و ل والمبتدأ والخبر أقرب إلى عقول الصبية فى هـذه السن وأيسر تصوراً وأسلس نطقا وقعا فى الألسن وفى الآذان من المسند والمسند إليه .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

على أن أصحاب التيسير المزعوم قد احتاجوا بعد ذلك إلى تفصيل المنصوبات وتبيينها ، ولم يروا إطلاق اسم (التكملة) عليها جميعا وافياً بالغرض ، فتكلموا عن (التكملة بالزمان) و (التكملة بالمكان) و (التكملة بالحال) و (التكملة بالمفعول) . فما الذى بسطوه ؟ وأى شيء صنعوه سوى أنهم أضافوا كلمة (التكملة) فعقدوا الاصطلاح وصعبوه وطولوه بدل أن ييسروه ويختصروه ؟ .

ثم إنهم بعد أن تحاشوا اصطلاح (الفعل) و (الفاعل) لغير سبب واضح أو مبرر معقول احتاجوا للكلام عن (المفعول) . ألم يكن بناء (المفعول) على (الفعل) و (الفاعل) أيسر فى العقل وأقوم فى الترتيب وأنسق فى التسلسل من بنائه على (المسند) و (المسند إليه) .

وقد يحتج أصحاب التيسير المزعوم لصنيعهم بأن البلاغيين ، وأصحاب علم المعانى على الخصوص . قد اتخذوا هذا التقسيم واستعملوا بعض هذه المصطلحات . ومن المعروف المشهور أن الاصطلاحات تختلف باختلاف العلوم والفنون ، وأنها تتبع احتياجاتها وتصدر عن طبيعة كل منها وعما يهدف إليه وما يريد أن يؤديه من غرض . وطبيعة النحو وهدفه يختلف عن طبيعة علم المعانى وهدفه . فالنحو همه ضبط أواخر الكلمات وتفصيل ذلك على مايقوم فى ذهن المتكلم من تصور ، بحيث يكون هذا الضبط وسيلة لتصوير المعنى بحسب اصطلاح أصحاب هذه اللغة وما جرى عليه عرفهم . أما المعانى فهو يتناول الأسلوب ولا شأن له بالمفردات . وهدفه هو أن يكون الكلام ترجمانا دقيقا صادقا فى نقل تصور المتكلم بكل ما يشتمل عليه وما يحف به من أحاسيس ومن ملابسات ومن ظلال إلى نفس السامع . فهو مرحلة تالية لمرحلة النحو الذى يتعلق غرضه بالصحة والفساد . بينما يتعلق غرض المعانى بفرق ما بين الصحيح والبليغ . والدقيق والأدق . لذلك كان اصطلاح البلاغيين على تقسيم الكلام إلى مسند ومسند إليه وفضلة لايجدى شيئاً فى إفادة ضبط أواخر الكلمات ومطابقته للمعنى بحسب ما جرى عليه عرف العرب . فالمسند إليه مثلا لايفيد الرفع على مايزعمه أصحاب التيسير . وهم يعرفون ذلك كما يعرفه الناس . ولذلك احتاجوا فى كتابهم الذى حير المعلمين والتلاميذ على السواء إلى أن يتكلموا عن كان وأخواتها وإن وأخواتها ، وعلى ذلك أصبح

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

كل من المسند والمسند إليه يقبل الرفع والنصب . ولم يستغنوا عن أن يقولوا إن المسند قد يكون فعلا وقد يكون اسما . ولم يستغنوا حين تكلموا عن المطابقة بين المسند والمسند إليه فى الإفراد والجمع عن أن يستثنوا من ذلك الجمل التى يكون المسند فيها فعلا متقدما . فهل هذا تيسير أم تعقيد ؟ .

هذه أمثلة مما أدركوه من وجوه النقص فى تقسيمهم . وبقى كثير مما لم يدركوه ، مما أشير إليه ولا أحصيه فى مثل (والقمر قدرناه منازل) الذى ينتصب فيه (القمر) مع أنه ليس اسما لإن أو إحدى أخواتها ، الذى زعموه استثناء وحيداً من رفع المسند إليه . وبقى أن نسأل أصحاب التيسير : كيف يصنع الناس بكتب التفسير والحديث والفقه وشروح دواوين الشعر التى تمتلىء صفحاتها باصطلاحات النحو المتداولة التى حكموا عليها بالإعدام ؛ لأنها لا تستغنى عنها حين تعرض لتوضيح المعنى أو بيان الفرق ما بين قراءة وقراءة ورواية ورواية . وبقى أن نسألهم أيضاً : هل استشرتم العرب جميعاً فيما صنعتموه ؟ بل هل استشرتم المسلمين الذين لا يستغنى فقهاؤهم عن تلك الكتب التى لا تستعمل غير اصطلاحات النحو الذى يريدون أن يلحقوه بكل ما يريدون إعدامه والقضاء عليه من (قديم) ؟ أم أنهم لا يعرفون أن هذه اللغة ليست ملكا لطه حسين وإبراهيم مصطفى ، والقوصى ومن شايعهم ممن يخافهم أو يرجوهم أو يضله شيطانهم . بل هى ليست ملكا للمصريين وحدهم . بل هى ليست ملكا للعرب وحدهم ولا للمسلمين وحدهم من أهل هذا الجيل . وإنما هى أمانة يتحتم علينا أن نحفظها للأجيال من بعدنا كما تلقيناها عمن قبلنا . أقول هذا وأنا أعلم ما سيرد هذا النفر به على . سيقولون : كلما حدثناكم فى شىء أقحمتم فيه الإسلام وقلتم القرآن القرآن . لا حجة لكم إلا هذا ولا تعلة لكم سواه ! ونحن نقول : نعم . القرآن والإسلام فى تقديركم شىء هين يسير وهو فى تقديرنا كبير خطير . ونحن لا نبالى شيئا تزينونه وتزخرفونه إذا أبعدنا عن القرآن والإسلام . فإن كان القرآن والإسلام عندكم لوناً من الألوان ، وواحدا من اعتبارات كثار فهو عندنا كل شىء ، به نحيا وعليه نموت ، وذلك بأن الحياة عندكم نعيم وزخرف ومتاع ثم لاشىء بعد ذلك إلا الفناء . فلا قيمة عندكم لشىء لا يتحول إلى لذة أو شهوة أو أرقام . أما نحن فالحياة عندنا معبر للآخرة وطريق إليها . ومن أجل ذلك نبنى فيها ونعمل ونكافح ونجاهد . لذلك كان الأدب عندكم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

لهواً ومتاعا ، وخرافات وأوهاما ، لذة للشذاذ والفارغين ، وكان عندنا أسمى من ذلك وظيفة وأعز مكانا . ومع ذلك كله فالقرآن والإسلام هو سبيلنا إلى العزة فى الدنيا التى تطلبونها ولا ترون سواها . لأن الذى يفقدهما يفقد الضمير ومراقبة النفس ومحاسبتها فى الصغير والكبير ، ويفقد الدافع القوى الصادق إلى العمل المثمر النافع . ويفقد الحصانة والمناعة التى تجعله يتماسك ولا ينهار أمام الشهوات والمغريات . ومن فقد ذلك كله فقد الدنيا ، لأنه لا يترك للهوه ولعبه كما كان يظنه ويشتهيه . بل يسلط الله عليه من يستعبده ويشقيه ، فيصبح عبدا رقيقا فى مزارع السيد الجديد ، يزرع لغيره بعد أن كان يزرع لنفسه . خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

بقى كذلك أن نقول لأصحاب التيسير المزعوم : إن ما أطلقتموه من أسماء لما توهمتموه من أقسام لا تصبح (اصطلاحا) حتى يجمع عليها الناس . وقد عرفتم رأى العرب فيها ، سمعتموه فى مؤتمر مجامع اللغة العربية الأول فى دمشق سنة ١٣٧٦ هـ ، وسمعتموه من قبل ذلك ومن بعده .

ومع ذلك كله فقد يبدو لى أن أصحاب التيسير كانوا يضعون أمام أعينهم التقسيم الغربى فى نحو بعض اللغات الأوروبية ، الذى يقسم الجملة إلى (Subject) و (Predicate) و (Complement) . والدليل على ذلك أن أصحاب التيسير آثروا استعمال (تكملة) وهى الترجمة الحرفية لكلمة Complement على اصطلاح البلاغيين المشهور وهو (فضلة) . وفات هؤلاء القرود أن اللغات الأوروبية التى نقلوا عنها هذا التقسيم كالانجليزية لا تحتاج لعلم يقابل علم النحو عندنا لأنها غير معربة . أما المعرب من لغاتهم مثل الألمانية ومثل (الفعل) فى الفرنسية فهو لا يزال يحتاج فى ضبطه إلى قواعد تفوق قواعد النحو العربى فى أقسامها وفروعها ، ومن شاء فليرجع إلى أى كتاب ابتدائى فى الألمانية ليرى إلى كم مجموعة يقسمون الأسماء . وليرى ما يطرأ على كل مجموعة من تغير وإضافة فى حالات الإعراب المختلفة التى تبلغ ثمانى حالات إفراداً وجمعاً . مما يختلف فى كل مجموعة عنه فى المجموعة الأخرى . وليرى كذلك أن علامة التعريف التى تقابل (ال) فى عربيتنا تتبع الاسم الذى تلحقه فى إعرابه ، وتختلف مع ذلك باختلاف نوعه بين مذكر ومؤنث وجماد . مما لا سبيل إلى تمييز بعضه من

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بعض بغير السماع ، ولير أن الاسم النكرة تسبقه أيضا أداة تخضع لكل هذه التقلبات السابقة ، وهى أداة لا وجود لها فى عربيتنا ، إلى آخر ما هنالك مما اكتفى بالإشارة إليه ولا أحصيه .

ولست أظن أن طه حسين قد غفل عن شىء من ذلك ، أو هو على الأقل لم يغفل عما يقابل ما قدمته من أمثلة فى الفعل الفرنسى ، حين قدم تقريره المشهور إلى وزير المعارف سنة ١٩٣٥ م ، فألقاه الوزير فى سلة المهملات وطلب منه ألا يعيد الحديث فيه حين حاول أن يفاتحه فيه مرة من المرات ، وذلك حسب رواية طه حسين نفسه . ولا بأس من أن أنقل فقرة من هـــذا التقرير ، ليعرف القارئ من أين جاء (التيسير) . زعم طه حسين فى تقريره ذاك أن : « الناس مجمعون على أن تعلم اللغة العربية وآدابها فى حاجة شديدة إلى الإصلاح » . ورد نفور الطلبة من الدراسات العربية إلى « أن اللغة العربية وما يتصل بها من العلوم والفنون ما زال قديما فى جوهره بأدق معانى هذه الكلمة ، فالنحو والصرف والأدب تعلم الآن كما كانت تعلم منذ ألف سنة . . ولست أزعم أن الأمر يقضى بإحداث ثورة عنيفة على القديم ، وتغيير العلوم اللغوية والأدبية فجأة وفى شىء يشبه الطفرة ، وإنما أزعم أن قد آن الوقت الذى يجب فيه أن نؤمن بأن العلوم اللسانية ، كغيرها من العلوم ، يجب أن تتطور وتنمو وتلائم عقول المعلمين والمتعلمين وبيئتهم التى يعيشون فيها وحاجاتهم التى يدفعون إليها ، ومتى آمنا بذلك فإن التطور سيأتى وسيتحقق شيئاً فشيئا ، ولكن لا بد أن تمهد له الطريق . وهنا يظهر السبب الثانى الذى أشرت إليه آنفا ، وهو أن معلم اللغة العربية الذى يستطيع أن ينهض بتعليمها كما ينبغى لم يوجد بعد ، فإن القديم لا ينتج إلا قديما مثله ما دام التطور لم يمسه ـ الفقرة ٤٢ من كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ص ٢٨٨- ٢٨٩ من طبعة المعارف سنة ١٩٤٤) .

ولم يمض على هذا التقرير الذى أسقطه الوزير يومذاك وأهمله سوى سنتين حتى صدر كتاب فى النحو نسقه ابراهيم مصطفى على ما تخيله طه حسين فى تقريره ذاك ، وقدم له طه حسين نفسه واقترح له اسما ضخما عريضا فيه كثير من التبجح والادعاء ، فسماه (إحياء النحو) . والمقول بأن إحياء النحو هو الحلقة الثانية فى سلسلة تيسير النحو ، وهو الصورة التنفيذية لمذكرة طه حسين . ولعل القارئ لا يدرى ما تحدثت به المذكرة من أن هذه الخطوة الأولى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ليست إلا تمهيداً لما يجيء بعد من التطور الذى « سيأتى وسيتحقق شيئاً فشيئا » . فهى صريحة فصيحة فى الكشف عن نية صاحبها وعن أسلوبه فى استدراج الناس ، والبدء بالهين اليسير الذى لا يفاجئهم ، ليتدرج منه إلى الخطير . إنه لا يسقيهم السم الزعاف القاتل لساعته لأنه يلفت الأنظار ويثير الشكوك ، ولكنه يسقيهم سما بطيئا يصل به إلى غرضه دون أن يكشف عن الجريمة . فليعرف الناس إذن أن (تيسير النحو) ليس هو منتهى ما يريدون ، ولكنه أول طريق طويل يدفعون الناس فيه إلى قرار سحيق .

ومن أعجب العجب أن مؤلفى (تيسير النحو) رتبوا هذا الذى يزعمونه (تجديداً) على الثورة ، فقالوا فى مقدمة الكتاب « . . . . إلى أن جاءت الثورة المصرية سنة ١٩٥٢ ومعها العزم الصادق على الإصلاح ، والرأى الماضى على تذليل الصعاب ، فهيأ السبيل للتنفيذ » . فما شأن الثورة والعلم ، وطبيعة العلم المحافظة والاتزان ، وهو أبعد شىء عن الثورة ، بل إن الثورة تفسده ؟ فهل هذا إلا ملق سخيف رخيص ؟ ! وهل جاءت الثورة للهدم أم للبناء ؟ وهل جاءت لتعز تراث العرب وتدعمه أم جاءت لتمحوه وتقضى عليه ؟ ألا ترى أن هذا هو نفسه ما تحدثت عنه فى مقال سابق ، حين قلت : إن أصحاب هذه الدعوات يعرفون أن الثورات هى أكثر الظروف ملاءمة لبث سمومهم ، إذ يلبسون ثياب الناصحين ، ويندسون فى غمار الثائرين الذين يريدون أن يستبدلوا بأسباب الضعف والفساد أسبابا للحياة والقوة والبناء ، كما يندس المخربون والمأجورون من عملاء العدو وسط جموع المظاهرات ، يحطمون المصابيح ويحرقون المنشآت ، فيقلدهم غيرهم فى صنيعهم دون تمييز بين ما يصلح تحطيمه وما يضر تحطيمه ، يخربون بيوتهم بأيديهم ويحسبون أنهم يطهرونها وأنهم يصلحون ! .

ذلك هو ما يفعله أحد شقى المقراض فيما يمارس مع النشء من المتعلمين . أما الكلام عن شق المقراض الآخر الذى يتناول إعداد مدرس اللغة العربية ومدارس الدين فذلك ما أرجئه إلى حديثى المقبل إن شاء الله ؟

الدكتور محمد محمد حسين
أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الإسكندرية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

التفسير النفسى للقرآن

نزل القرآن فى عهدين متمايزين : العهد المكى وهو ما قبل الهجرة ، والعهد المدنى وهو ما بعد الهجرة .

فكما أن هجرة الرسول صلوات الله عليه إلى المدينة كانت حدا فاصلا فى تاريخ الإسلام بين عهدين ، كانت كذلك حدا فاصلا فى القرآن الكريم بين أسلوبين .

على أن القرآن كله مصوغ فى أسلوب بلاغى لا يضارع ، وفى فصاحة من النظم لا تبارى لأنه فى صياغته يتناسب مع موضوع الخطاب ، ويتلاءم مع نفسية المخاطبين ، متدرجا مع الأحداث ، متطابقاً مع الأحوال الاجتماعية والسياسة التشريعية .

فمن نظر فى القرآن الكريم نظرة شاملة جامعة وجده مرآة صادقة للأحداث التى مرت على الإسلام ، وسجلا محفوظا للأزمات التى صادفها الرسول فى نشر دعوته ، وصورة دقيقة للمنهج القويم الذى سلكه فى هداية قومه ، وللتدرج الحكيم الذى اتخذه فى تشريعه . بل هو ميدان فسيح للتحليل النفسى الذى يكشف عن سر بلاغة القرآن وسحر بيانه ومناط إعجازه .

لذلك كان على من يريد تفسير القرآن تفسيراً دقيقا أن يدرس نفسية المنزل عليه القرآن والمخاطبين به ، والظروف التى أحاطت بالموضوعات التى تناولها ، ليستطيع أن يدرك أسرار أسلوبه وخصائص تعبيره ودقائق نظمه .

ولقد فطن القدماء إلى ذلك فذكر السيوطى فى الإتقان عند الحديث على أخطاء المفسرين ومواطن زللهم ما يأتى : ـ

أكثر ما يقع الخطأ فى التفسير من وجهين :

أحدهما ـ قوم اعتقدوا معانى ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها .

والثانى ـ قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ فى لغة العرب من غير نظر إلى المنزل عليه القرآن وإلى المخاطبين به .

هذا ما فطن له الجلال السيوطى عليه رحمة الله .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونحن نقول على ضوء ما قرره :

إن المخاطبين فى المدينة يختلفون عن المخاطبين فى مكة فصاحة وعقلية وخلقا وبيئة . والموضوعات التى تتناولها السور المدنية تختلف عن الموضوعات التى تتناولها السور المكية . ونفسية الرسول صلوات الله عليه فى المدينة غيرها فى مكة .

لهذا كله كان للقرآن المدنى أسلوب له خصائصه ومميزاته عن القرآن المكى الذى له أسلوبه وخصائصه ومميزاته ، وفى كل إعجاز وسحر بيان وجمال نظم يدل على أنه ليس فى طاقة البشر ، وإنما هو تنزيل من خالق القوى والقدر .

فأهل مكة كانوا يومذاك أهل شرك وعبادة أوثان ، وأهل رياسة وسيادة ، ديدنهم العناد وخلقهم الغطرسة والجفوة ، وعقولهم فى الدين مقفلة ، وطباعهم فى الجدل جافة ، جامدون فى تقليدهم . واقفون عند كبريائهم وطغيانهم « وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا » .

وكانت موضوعات السور المكية جلها فى أصول الإيمان الاعتقادية من الإلهيات والوحى والرسالة والبعث والجزاء ، ويلى ذلك فيها أصول التشريع الإجمالية العامة والآداب والفضائل الأساسية ، ويتخلل هذا وذاك محاجة المشركين ودعوتهم إلى الإيمان بتلك الأصول وإبطال ضلالاتهم ومحاربة خرافاتهم .

وكان الرسول صلوات الله عليه فى مكة حرجا صدره ، حزينة نفسه من طول المعارضة ، واستمرار العناد . ومن توالى الأذى ، ولحرصه على نجاة قومه من انحرافهم وتخليصهم من عبادة أصنامهم ومهاوى شركهم.

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، « لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين » ، « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » ، « قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فإنهم لا يكذبونك » .

لذا جاء القرآن المكى يخاطبهم صريحا واضحا سهلا فى أسلوب فطرى وجدانى ، ليصل إلى قلوبهم القاسية وعقولهم المغلقة .

فكانت السور المكية تارة تنذرهم فتذكرهم بيوم الفصل . وبالصاخة تجيئهم وبالقارعة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تحل بهم ، ثم تصف لهم سقر وزبانيتها « سأصليه سقر ، وما أدراك ما سقر ، لا تبقى ولا تذر لواحة للبشر ، عليها تسعة عشر » .

وتارة يصف الجنة ونعيمها وحدائقها وأنهارها ، فهو ينقلهم من الرهبة إلى الرغبة ومن الخوف إلى الرجاء حتى يسلس قيادهم وتهذب نفوسهم ويدك من عنادهم ويخفض من طغيانهم .

ومن هذا وذاك يجذب القرآن أنظارهم إلى ما ألفوه من مشاهد الطبيعة الدالة على قدرة الله ، وعظم آلائه ، وجليل آياته ، لتتدبر عقولهم وتشف نفوسهم فيصلوا من ذلك إلى ألوهيته ويدركوا حقيقة وجدانيته . يسوق القرآن كل ذلك فى أسلوب مسجوع قصير ، وموسيقا لفظية ساحرة ، وجمل متزنة مزدوجة ، فى صيغ مؤكدة بالقسم الذى درجوا عليه فى تعابيرهم ، وألفوه فى مخاطبتهم ؛ ليكون ذلك أبلغ أثراً فى نفوسهم ، وأعمق فعلا فى وجداناتهم .

ثم يضرب لهم الأمثال بالأمم الغابرة التى كانت أشد منهم قوة فأخذهم الله بذنوبهم ، وأهلكهم بظلمهم وعصيانهم خالقهم ، ليوقظ من وراء ذلك التهديد قلوبهم ، ويحيى بصارم هذا الوعيد ميت وجدانهم .

« ذلك من أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد ، وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التى يدعون من دون الله من شىء لما جاء أمر ربك ، وما زادوهم غير تتبيب . وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة إن أخذه أليم شديد » .

لهذا كان أسلوب السور المكية غالباً جزلا متيناً وصارماً رصيناً ، يصخ الجنان ويصدع الوجدان ، ويفزع القلوب ، وينبه العقول .

« القارعة ما القارعة ، وما أدراك ما القارعة ، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن المنفوش » .

« الحاقة ما الحاقة ، وما أدراك ما الحاقة . كذبت ثمود وعاد بالقارعة . فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية . وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » .

« فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة ، فرت من قسورة » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

« وقالوا اتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إدا . تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » .

على أن القرآن المكى لم يخل أحياناً من لين ورقة ومحاسنة وملاينة إذا ما كان الخطاب موجهاً للمؤمنين ، أو إذا سلك مسلك الوعظ والتذكير ، أو وصف الجنة وظلالها ، أو إذا عمد إلى تسلية الرسول صلوات الله عليه والتسرية عن نفسه والتبديد من كربه : « فلا يحزنك قولهم إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون » .

وقد شاع فى أسلوب هذا العهد المكى ظواهر أسلوبية مرتكزة على أسس نفسية ، وأحوال وجدانية مما سنتعرض لدراسته فى البحث الآتى . تلك الظواهر هى : التكرار ، والقسم ، والافتتاح بحروف التهجى ، والإيجاز .

ولنعجل بمثال يبين فضل الدراسة النفسية فى حل مشاكل فى التفسير خطيرة ـ من ذلك ما فى تفسير قوله تعالى فى سورة الشعراء « وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربى مبين » . فقد ثار حول هذه الآيات خلاف مس الأصول البعيدة ، والأسس الغائرة من الصرح القرآنى .

فهذا فريق يحتج بها على نزول القرآن بالمعنى لا باللفظ ، وأن اللفظ من عند الرسول عليه السلام . إذ لا ينزل على القلب إلا المعانى . وهذه مزالقة إلى إنكار أن يكون لفظ القرآن معجزاً .

ومنكر هذا النزول المعنوى يضطر إلى تناول النزول على القلب ليبين معدن العقل هو القلب أو الدماغ ، وهو ما يعرض له الفخر الرازى فى تفسيره ويورد فى ذلك آراء القدماء والمحدثين ، والاستدلال لكل رأى .

إلا أن الزمخشرى يدركه التوفيق فيفطن من ذلك إلى خاطرة نفسية دقيقة يكشف بها غبار الموقف ، إذ يعلق قوله تعالى (بلسان عربى مبين) بالفعل (نزل) ويجعل المعنى هكذا : نزله باللسان العربى لتنذر به لأنه لو نزله باللسان الأعجمى لتجافوا عنه أصلا ولقالوا ما نصنع بما لا نفهمه ، فيتعذر الإنذار به . وفى هذا الوجه أن تنزيله بالعربية التى هى لسانك ولسان قومك تنزيل له على قلبك لأنك تفهمه ويفهمه قومك . ولو كان أعجمياً لكان نازلا على

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

سمعك دون قلبك لأنك تسمع أجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها ، فقد يكون الرجل عارفا بعدة لغات : فإذا كلم بلغته التى يتقنها أولا ونشأ عليها وتطبع بها لم يتعلق قلبه إلا بمعانى الكلام يتلقاها ولا يكاد يفطن للألفاظ كيف جرت ، وإن كلم بغير تلك اللغة - وإن كان ماهراً بمعرفتها - كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها . فهذا تقرير أنه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربى مبين .

فبذلك المنهج النفسى فى فهم حال المتكلم بلغة الأم وحال المتكلم بغيرها كشف الزمخشرى ظلمة الموقف ، وهون الأمر حتى جعل الاحتجاج بالآية على النزول بالمعنى دون اللفظ يبدو واهناً ضعيفاً .

وليس يحتاج إلى فهم الجوانب النفسية بإزاء الآيات التى يثور حولها مثل هذا الخلاف فقط ، بل فى الآية التى لا خلاف فيها مطلقاً قد ترفع الملاحظة النفسية إلى أفق باهر السناء ، خليق بذلك الإعجاز الذى أعجز الجن والإنس ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

عبد الوهاب حمودة

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

إقامة الحق

بنى الإسلام إقداما ... كفى دعة وإحجاما
هلموا نرفع الهاما ... أنقضى الدهر نواما ؟
على البيضاء فانطلقوا ... إلى العلياء فاستبقوا
لكم من دينكم طرق ... تبث النور أعلاما
سلوا القوم الأولى ذهبوا ... بأية قوة غلبوا
أقاموا الحق فانتدبوا ... لأهل الأرض حكاما

أحمد محرم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تحقيق أدبي :

مدحة على بن الحسين

بين الفرزدق والحزين الكنانى

— ١ —

كتب فضيلة الأستاذ العالم الفاضل الشيخ محمود النواوى فى مجلة الأزهر (عدد المحرم سنة ١٣٧٨ هـ مقالا عن على بن الحسين رضى الله عنهما ، أكد فيه أن على بن الحسين توفى سنة ٩٤ هـ على حسب ما نصت عليه الكتب التى اعتمد عليها الكاتب ، وخلص من ذلك إلى نفى القصة المشهورة التى جمعت بين هشام بن عبد الملك ـ وهو خليفة ـ وعلى بن الحسين ، والفرزدق ، إذ أن هشاما تولى الخلافة فى سنة ١٠٥ هـ ، وسياق القصة ـ على ما يقول الأستاذ النواوى ـ يدل على أن هشاما كان يومها خليفة ، ثم استطرد يقول : « فإن تكن الحادثة صحيحة أولها أصل ، فلعلها كانت مع غير هشام من الخلفاء ، أو مع غير زين العابدين من آل البيت أو بينهما فى غير خلافة هشام » .

قلت : ولست أجد فى سياق القصة ما يرجح أن هشاما كان خليفة فى ذلك الوقت ، فإن كان لما فيها من حفاوة به ، والتفاف حوله ، فليس ذلك بكاف إذ أن أهل بيت الخلافة كبارهم وصغارهم يلقون من التجلة والإعظام ما هو معروف ، فى كل عصر ، ومصر .

على أن بعض الكتب كفانا مئونة الاستنباط والجدل ، فقد نص صاحب الأغانى [١] على أن القصة وقعت وهشام يحج بالناس فى خلافة أخيه الوليد ، وذكر جامع ديوان الفرزدق أن هشاما حج فى أيام أبيه ومعه جماعة من أعيان أهل الشام ، وأنه لم يستطع أن يستلم الحجر لكثرة الزحام ، فلما أقبل على بن الحسين وكان من أجمل الناس وجها ، وأطيبهم أرجا طاف بالبيت ، فلما انتهى إلى الحجر تنحى له الناس حتى استلم الحجر ، فقال رجل من أهل الشام لهشام : من هذا الذى هابه الناس هذه الهيبة ؟ فقال هشام لا أعرفه ، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام

---

[١] جـ ١٤ ص ٧٥ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان الفرزدق حاضراً فقال أنا أعرفه ، فقال الشامى : من هو يا أبا فراس ؟ فقال الفرزدق قصيدته التى نحن بصدد تحقيق قائلها فى هذا البحث .

وذكر أصحاب الوسيط فى أدب اللغة أن هشاماً كان آنذاك ولياً للعهد ، وهو خطأ فهشام لم يكن ولياً للعهد إلا فى أيام يزيد بن عبد الملك ، وقد ولى يزيد الخلافة فى سنة ١٠١ هـ أى بعد وفاة زين العابدين بست سنوات ، وكان ولى عهد عبد الملك ابنه الوليد ، وولى عهد الوليد أخوه سليمان ، وولى عهد سليمان ابنه أيوب . فلما مات أيوب فى حياة أبيه كان ولى العهد عمر بن عبد العزيز .

فإذا اعتمدنا رواية صاحب الأغانى أو رواية جامع الديوان خلصنا من الاعتراض الذى أثاره الأستاذ النواوى عن التعارض بين وقوع القصة مع هشام ووفاة على بن الحسين ، وبقى أن نمضى فى التحقيق لنرى من قائل هذه القصيدة ، وفيمن قيلت ، وما هى القصيدة ؟

ولأذكر ـ أولا ـ النصوص التى وقفت عليها ، ثم أصل إلى النتيجة من هذا التحقيق .

قال أبو الفرج الأصبهانى صاحب كتاب الأغانى فى ترجمة الحزين الكنانى (١) ـ مع شىء من الاختصار ـ « حج عبد الله بن عبد الملك ، فقال له أبوه سيأتيك الحزين الشاعر بالمدينة وهو ذرب اللسان ، فإياك أن تحتجب عنه وأرضه ، فلما قدم عبد الله المدينة دخل عليه الحزين فقال : أيها الأمير إنى كنت مدحتك بشعر ، فلما دخلت عليك ، ورأيت جمالك وبهاءك أذهلنى عنه فأنسيت ما كنت قلته ، وقد قلت فى مقامى هذا بيتين فقال : ماهما ؟ قال :

فى كفه خيزران ريحه عبق ... من كف أروع فى عرنينه شمم

يغضى حياء ويغضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم

والناس يروون هذين البيتين للفرزدق فى أبياته التى يمدح بها على بن الحسين رضى الله عنهما التى أولها :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرام

وهو غلط ممن رواهما فيها . وليس هذان البيتان مما يمدح به مثل على بن الحسين رضى الله عنهما ، وله من الفضل المتعالم ما ليس لأحد .

---

(١) جـ ١٤ صـ ٧٤ وما بعدها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وأما الأبيات التى مدح بها الفرزدق على بن الحسين ، وخبره فيها فحدثنى . . . حدثنا ابن عائشة (ثم ذكر القصة التى أوردتها آنفا ، وذكر أبياتاً سبعة ابتدأها بالبيت السابق وذكر بعده) :

هـذا ابن خير عباد الله كلهم ... هـذا التقى النقى الطاهر العلم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هـذا ينتهى الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
فليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم
أى الخلائق ليست فى رقابهم ... لأولية هـذا أوله نعم
من يعرف الله يعرف أولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الأمم

ثم ذكر قصة حبس الفرزدق وإخراجه ، وإجازة على بن الحسين له ، ثم قال : ومن الناس أيضاً من يروى هذه الأبيات لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، ومنهم من يرويها لخالد بن يزيد مولى قثم فيه ، فمن رواها لداود بن سلم فى قثم ولخالد بن يزيد فيه فهى فى روايته :

كم صارخ بك من راج وراجية ... يرجوك يا قثم الخيرات يا قثم
أى العمائر ليست فى رقابهم ... البيت . . . . . .

(فى كفه خيزران) . (يغضى حياء) البيتان.

وممن ذكر لنا ذلك الصولى عن العلائى عن مهدى بن سابق أن داود بن سلم قال هـذه الأبيات الأربعة سوى البيت الأول فى شعره فى على بن الحسين رضى الله عنه ، وذكر الرياشى عن الأصمعى أن رجلا من العرب يقال له داود وقف لقثم فناداه وقال (يكاد يمسكه) (كم صارخ بك) البيتين . فأمر له بجائزة سنية، والصحيح أنها للحزين فى عبد الله بن عبد الملك وقد غلط ابن عائشة فى إدخاله البيتين فى تلك الأبيات » .

ثم ذكر أبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعانى ، متشابهة تنبئ عن نفسها ـ على حد تعبيره ـ وهى أحد عشر بيتا ، فيها البيتان المشهوران (فى كفه خيزران ـ يغضى حياء) وليس فيها البيتان (يكاد يمسكه ـ كم صارخ) كما أنه ليس بينها وبين قصيدة الفرزدق المثبتة فى ديوانه اتفاق بعد ذلك . ثم قال صاحب الأغانى : « ومن الناس من يقول إن الحزين قالها فى عبد العزيز ابن مروان لذكره دمشق ومصر، وقد كان ثم عبدالله بن عبد الملك أيضا فى مصر والحزين بها ».

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ونص صاحب الأغانى حافل - كما ترى - وسنستخلص منه - على الرغم مما فيه من اضطراب - بعض الحقائق الهامة .

ونسب أبو تمام فى ديوان الحماسة أبياتاً للحزين الكنانى ، واختلفت النسخ المطبوعة فبعضها ذكر أن الممدوح بها على بن الحسين ، ومعناه أن هذا رأى أبى تمام ، وبعضها اقتصر على ذكر الشاعر ، والموجود فى ديوان الحماسة أبيات ستة كلها مذكورة فى مدحة الفرزدق - كما وردت فى ديوانه - ومنها البيتان اللذان ذكر صاحب الأغانى أنهما للحزين ، ونفى أن يكونا للفرزدق ، أو فى مدحة « على » بعامة ، أما الأبيات الأخرى فقد جاءت فى رواية الأغانى ، وفى رواية الديوان ، فيكون أبو تمام لفق المقطوعة ، ونسبها للكنانى ، وقد ذكر التبريزى فى شرح الحماسة اسم الحزين ونسبه ثم قال : ويقال إنها للفرزدق . وذكر بعض شراح الحماسة أنها للحزين ، وردد كلام صاحب الأغانى .

وقال ابن رشيق فى العمدة : « وكذلك قول الحزين الكنانى فى عبد الله بن عبد الملك ابن مروان ، وقد وفد عليه بمصر ، ويروى للفرزدق فى على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وقيل بل قالها فيه اللعين المنقرى ، وقيل بل الأبيات لداود بن سلم فى قثم ابن العباس بن عبد الله بن العباس (فى كفنه خيزران - يغضى حياء) .

وذكر ابن قتيبة فى مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » البيتين مثالا للضرب الأول من أضرب الشعر فى تقسيمه المشهور . وهو الضرب الذى حسن لفظه وجاد معناه ، ولم ينسبهما ، وإن نسبهما بعض المعلقين على الكتاب للفرزدق ، أما ابن عبد ربه فقد ذكر فى كتابه العقد الفريد قال : (وقال ابن قتيبة لم يقل بيت أبدع من قول الشاعر فى بعض خلفاء بنى أمية « يغضى حياء . . . البيت » وأحسن منه عندى قولى :

فتى زاده عز المهابة ذلة فكل عزيز عنده متواضع

ونسب الشيخان الإسكندرى وعنانى فى كتابهما « الوسيط » القصيدة للفرزدق ، ونصا على أن أبياتاً منها تروى لغيره ، وهى فى اختيارهما عشرة أبيات ، ولعلهما يشيران إلى البيتين اللذين أكد صاحب الأغانى أنهما للحزين الكنانى . وقد طال بنا نفس القول فلنرجئ النتائج الهامة التى يفضى إليها هذا البحث إلى حديث آخر ؟

على العمارى

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المرأة فى ظلال الاسلام

الإسلام هو الدين السماوى الوحيد ، الذى عنى بالمرأة العناية الكافية ، وأحلها المكانة اللائقة بها ، وأنزلها المنزلة التى تتناسب ورسالتها فى مضمار الحياة ، وضرب حولها سياجا منيعاً من الحفظ والحماية ، وأحاطها بسور متين من الصون والرعاية ، ومنحها كثيراً من الحقوق التى لم تكن لها لولاه . . .

ولو قلبنا صفحات التاريخ ، وألقينا ضوءاً كشافا على حالة المرأة قبل الإسلام ، لرأيناها قد عاشت قبله أجيالا طوالا ، منقوصة القدر ، مهيضة الجناح ، مسلوبة الحرية ، تختلف الأمم والقبائل فى معاملتها ، ولكنها تتفق فى ازدرائها وإهمال شأنها ؛ والنظر إليها كشىء من سقط المتاع ، فمنهم من كان يشتط فى القسوة عليها ، ويسرف فى استلاب حقوقها ، ويحرم عليها أن تبدى رأيا يخالف رأيه ، أو تعمل عملا بغير مشورته ، أو ترفض زوجا اختاره ، أو تنال حظاً من الميراث . ومنهم من كان يتصرف فيها كما يتصرف فى المواشى ، بالبيع والشراء ، والهبة والإجارة ، والإعارة وسواها ؛ ومنهم من كان يقعد عن العمل ، ويركن إلى الراحة والبطالة ، ويكلف المرأة مشقة السعى ، والإنفاق عليه ، وعلى أولاده . وقد يكرهها أحيانا على الفجور ، وارتكاب الآثام ، ولا يرى فى ذلك ذنباً ولا عاراً ! ! !

ومن بين قبائل العرب فى الجاهلية من كان يمقت النساء ، ويئد البنات ، خوفا من العار . وضنا بالإنفاق عليهن . وقد صرح القرآن العظيم بذلك ، فى غير موضع منه ، قال الله عز وجل « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ؛ يتوارى من القوم من سوء مابشر به . أيمسكه على هون ، أم يدسه فى التراب ، ألا ساء مايحكمون[1] » وحتى لقد قال أمير المؤمنين ، عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، ونضر تاريخه : والله كنا فى الجاهلية لانعد النساء شيئاً . حتى أنزل الله فيهن ما أنزل ، وقسم لهن ماقسم .

هذا شأن المرأة قديما ، وذلك بعض ما كانت تئن تحته من الأغلال والقيود ، وضروب الذل والبلاء والهوان ، فلما لاح فجر الإسلام الحنيف ، ونادى به رسول الإنسانية ، محمد ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنقذ المرأة مما كانت تعانيه ، ونهض بها إلى المستوى

(١) سورة النحل ٥٨ ، ٥٩ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الملائم لها ، وأعطاها كثيراً من الحقوق التى أعطاها للرجل ، ولم يفرق بينهما إلا فى أمور يسيرة ، راعى فيها طبيعة كل منهما وفائدة المجتمع .

فسوى بينهما فى العقيدة ، والتكاليف الدينية ، وحرية الرأى والعمل ، وجعل لها نصيبا مفروضا فى الميراث .

نعم ، إن الإسلام جعلها فيه على النصف منه ، لحكمة سامية ، لأنه أوجب نفقتها على الرجال ، رحمة بها ، وإبعاداً لها عن مشاق السعى ، ومتاعب الحياة ، ولا يزال فريق من أرقى الممالك الأجنبية إلى يومنا هذا ، يحرم المرأة حقها فى الميراث ، ويجعله مقصوراً على أكبر الأولاد سناً ! ! !

فشتان بين حال المرأة فى ظلال الإسلام ، وحال المرأة غير المسلمة فى العصور القديمة والحديثة .

ولقد وجه الإسلام الأغر عناية كبرى للأسرة ، لأنها الخلية الأساسية التى يتركب منها ومن أمثالها جسم المجتمع ، فشرع الزواج ، وأمر القادرين به ، حفظا للنوع الإنسانى ، وبعداً بالناس عن الوقوع فى أحضان الرذائل والمعاصى ، والأدواء والأمراض ، واحتراما للأنساب ، ومعاونة على الحياة ، وأظل الزوجين معا بظله الوارف ، وكانت عنايته بالمرأة وعطفه عليها أوضح وأظهر ، ضرورة أنها تحتمل من تبعات الزواج ونتائجه أكثر مما يحتمل الرجل . ولقد جاء أعرابى إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم . وهو جالس بين أصحابه ، يعظهم ، ويبين لهم أحكام دينهم ودنياهم ، ويذكرهم بأيام الله . فقال الأعرابى : يارسول الله ـ من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ فقال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أمك ـ قال : ثم من ؟ قال : أبوك .

وإذا كان الدين الإسلامى العظيم قد جعل شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل ، فذلك لأنها أقل منه خبرة ، ونظراً فى العواقب ، وأكثر خضوعا للعواطف وأسرع انفعالا وتأثراً . وقد أباح تعدد الزوجات لأغراض نبيلة ، زادتها حوادث الأيام وضوحا وجلاء ، واشترط على الزوج أن يعدل بينهن فى كل مايمكن العدل فيه ، فإن آنس من نفسه عجزاً عن ذلك وجب عليه أن يقتصر على زوجة واحدة . وفى هذا يقول العلى القدير « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا [1] » .

---

(١) سورة النساء ٣ .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وقد تخفق الحياة الزوجية فى تهيئة أسباب السعادة للزوجين ، أحدهما أو كليهما ، فلا يكون بد من التفريق بينهما بالطلاق . حقا : إنه علاج قاس ، ودواء مر ، وأبغض الحلال إلى الله تعالى ، ولكن لابد مما ليس منه بد . فماذا يصنع الرجل إذا كانت امرأته سيئة الخلق لاترعوى ؟ أو كانت عجوزاً لاتلد ؟ أو كانت مريضة لاتقوى على أعباء الحياة الزوجية ؟ ولا ينتظر لها برء أو شفاء ؟ .

بل ماذا تفعل المرأة إذا غاب عنها زوجها غيبة طويلة منقطعة ؟ أو كان شريراً يسىء معاملتها ؟ أو يضربها ضربا مبرحا لاتحتمله ؟ بل كيف السبيل إلى الخلاص إذا بات إصلاح الحال مستحيلا أو فى حكم المستحيل ؟ ! ! ! لا علاج لهذا كله إلا بالطلاق ، يوقعه الزوج أو القاضى أحيانا .

ولقد كان كثير من غير المسلمين يعيبون نظام الطلاق فى الشريعة الإسلامية السمحة ، ولكن الأيام أظهرت لهم حكمته السامية ، وكشفت لهم الحوادث عن سداده ، وشدة الحاجة إليه ، فأخذوا به ، وصاروا يطلقون ، ولا يرون فيه عيبا ، بل ذهبوا إلى أن إباحته ضرورية لصلاح المجتمع . وهذا اعتراف منهم بفضل هذا الدين العظيم ، وأنه الدين الوحيد الملائم للطباع الإنسانية ، والنظم الاجتماعية ، والصالح لكل زمان ومكان .

هذا قليل من كثير ، من أيادى الإسلام البيضاء على المرأة ، وعنايته بها ، وحرصه على كرامتها ، وإعلاء شأنها . وحسبنا فى هذا المقام أن نختم هذا المقال ، بقول المشرع الأعظم ـ صلى الله عليه وسلم ـ حاثا على معاملة النسوة بالحسنى « إن النساء خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج مافى الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً فإن أحسنكم أحسنكم معاملة لنسائه » .

وحدثت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها وعن والديها قالت : دخلت امرأة ، ومعها بنتان لها تسأل شيئاً ، فلم أجد غير تمرة ، فأعطيتها لها ، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل شيئا ، ثم قامت فخرجت ، ودخل النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته بخبرها ، فقال عليه الصلاة والسلام « من ابتلى من هؤلاء البنات بشىء كن له سترا من النار » .

أحمد على منصور

أستاذ البلاغة والأدب بمعهد شبين الكوم

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

رسالة الأزهر

(بقية رسالة الأدب)

- ٤ -

لى هنا وقفة ، هى وقفة الذاكر لا وقفة الحائر . فلقد عددت من رسالة الأزهر الأدبية ما كان من أدب مثل الشيخ ابن دقيق العيد ، والشيخ السيوطى ، ومن جاء بعدهما من أدباء المشايخ الأزهريين ، كالشيخ اسماعيل الخشاب والشيخ عبد الله الشبراوى والشيخ حسن العطار والشيخ محمود العالم . هذه الوقفه هى تساؤلى ، هل كان تأدب هؤلاء المشايخ ومن ماثلهم بالشعر والنثر - مدروسا فى أيامهم بالأزهر أم لا ؛ فإذا كان مدروسا فما أيسر أن ننسب إلى الأزهر من جوفه ومناهجه - دراسة أدبية انتهت لهؤلاء الشيوخ الأجلاء إلى أن يكونوا متأدبين شعرا ونثرا أو كليهما . وإذا لم يكن ذلك من مناهج الأزهر فما الذى جعل من هؤلاء السادة - أدباء فى الذروة من الأدب فى أزمنتهم وأيامهم ؟ الواقع أن دراسة كتب الأدب المعتبرة لم تكن من مناهج الأزهر الدراسية . مثل البيان والتبيين للجاحظ ، والأمالى لأبى على القالى ، والكامل للمبرد والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى[1] . وهى الكتب التى عدها مؤرخو الأدب - ولاسيما ابن خلدون - أمهات الأدب وأصول لغه العرب . وقد كانت الدراسة مقصورة فى الأزهر على كتبه المعروفة المتوارثة مثل الأشمونى ، والمطول والأطول ، وجامع الجوامع . والرسالة العضدية . . . وهلم فما الذى صير من هؤلاء المشايخ الأجلاء أدباء ، كتابا وشعراء ؛ قد يكون لكل واحد منهم ظروف خاصة ساقته إلى الأدب ، أو ساقت الأدب إليه . مثل أن الشيخ حسن العطار قضى معظم أيام شبابه فى الترحال والانتقال . فازدادت معارفه ، وصقل أدبه . هذه الظروف الخاصة - التى لا أعلمها بالتفصيل عن كل من تأدب من الأزهريين - تلتقى عند سبب عام واحد هو حب الاطلاع على كتب الأدب ، والتلذذ بقراءة آثار الأدباء . والحب الذاتى يجنى صاحبه الثمرات فيما رغب فيه وأحبه ، فالمتأدبون من المشايخ كانوا يجمعون بين الدراسة الأصلية فى الأزهر ، وبين هوايتهم التى أحبوها : فكانوا بذلك علماء وأدباء معا . على أن

---

[1] المجلة - الأغانى لم يكونوا يعدونه الكتاب الرابع من هذه الكتب الأربعة ، بل الكتاب الرابع هو أدب الكاتب لابن قتيبة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

بعضهم كما سيجيء فى موضعه ـ قد طغى حب الأدب فيه على كل دراسة فى الأزهر، فأهملوا علوم الأزهر إهمالا ، وعكفوا على الأدب فصاروا فى الذروة والسنام : وأعطى هنا مثلا سريعا لواحد منهم . هو السيد مصطفى لطفى المنفلوطى الذى سيجيء ذكره فيما بعد .

لا أنسى فى التحدث عن رسالة الأزهر الأدبية ـ الشيخ المؤرخ الأديب الفحل : عبد الرحمن الجبرتى : الذى حسبه الدكتور أحمد أمين أستاذ الشيخ حسن العطار ومنشئه على حب الأدب . ومع مخالفتى لهذا الرأى مخالفة قاطعة فإننى لا أعرف سبباً استند إليه أحمد أمين إلا أن الجبرتى روى فى ترجمته للشيخ إسماعيل الخشاب أن هذا الشيخ (الخشاب) قد تآلفت روحه مع روح العطار بعد عودته من رحلاته وذكر شيئاً مما كان يجرى بينهما من المطارحات الشعرية . وكانت هذه المطارحات كثيرا ما تجرى فى بيت الجبرتى . ومعنى ذلك أن هذا الثالوث قد كون أخوة أدبية صادقة كانت تقطع الوقت فى الفكاهات والمنادرات ورواية الأشعار وهذا لا يفيد أن العطار أخذ أدبه عن الجبرتى . وإلا فلماذا لا نقول ذلك أيضاً فى الخشاب؟ الواقع أن الجبرتى لم يتعرف بالعطار إلا بعد انتهاء رحلات الثانى واستقراره فى وطنه . وقد عاد من هذه الرحلات مكتمل الأدب . فائقاً فى زمانه نثراً وشعراً . على أن أسلوب العطار فى نثره أقوى من أسلوب الجبرتى على وجه عام . فكيف يكون الأضعف أستاذا للأقوى . وأيضا فإن العطار كان شاعرا فحلا ولم يعرف عن الجبرتى من الناحية الشعرية أنه كان شاعراً وإنما كان راوية للشعر فى تاريخه المعروف فى المناسبات التى يرى فيها أن يروى شعرا لمن يترجم لهم . وله شعر قليل لا يضعه فى صف العطار والخشاب إطلاقا .

إن الأستاذية التى لا ريب فيها هى أستاذية العطار للشيخ رفاعة رافع الطهطاوى الذى لا يسهل على من يتحدث عن رسالة الأزهر الأدبية أن يغفل شأنه الكبير . فلقد كان الطهطاوى ملازما للعطار ملازمة أول المريدين لشيخه . وقد تتلمذ على العطار دراسة أزهرية وأدبا . ولذلك اختاره العطار ليكون إماما لبعثة مصرية إلى فرنسا لما وكل إليه أمر هذا الاختيار . وقد أوصاه قبل سفره أن يكتب رحلته من ابتداء قيام الباخرة التى تقله إلى منتهاها . ولا يكلف العطار الأديب تلميذاً له بذلك إلا إذا كان واثقا من أنه يعرف كيف يكتب . وكتابة الرحلات من أعوص ما تكتب الأقلام . فالطهطاوى قد تأدب بأدب العطار من قبل أن يرتحل . وأقول بشجاعة إن إقامته فى فرنسا لم تزده من حيث الأسلوب العربى شيئاً . ولكنها أفادته الخير الكثير فيما عدا أسلوبى الكتابة والشعر . فقد ازدادت

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

معارفه .. ودرس بالفرنسية العلوم الحديثة . واطلع على عادات وبلاد وأوساط وسعت آفاق علومه ومعرفته بالحياة . ولذلك كان من أفذاذ حاملى لواء النهضة العلمية فى بلاده لما أن عاد إليها - بالترجمة والتأليف وتوسيع أرحاب الثقافة العامة فى مصر ، وتأسيسه مدرسة الألسن التى أخرجت لمصر من كنوز الرجال ذخائر لا تفنى آثارها العلمية . وقد انتفعنا بها انتفاعا كبيراً .

ومن نثر رفاعة الطهطاوى قوله فى حب الوطن : « إن حب الوطن من الإيمان ، ومن طبع الأحرار الحنين إلى الأوطان ، ومولد الإنسان أعلى الدوام محبوب ، ومنشؤه مألوف له ومرغوب ، ولأرضك حرمة وطنها ، كما لأمك حق لبنها ، والكريم لا يجفو أرضاً بها قوابله ، ولا ينسى داراً بها قبائله . . . » .

ومن شعره قوله وهو فى باريس يحن إلى مصر :

ناح الحمام على غصون البان فأباح شيمة مغرم ولهان
هذا لعمرى إن فيها سادة قد زينوا بالحسن والإحسان
ولئن حلفت بأن مصر لجنة وقطوفها للفائزين دوان
والنيل كوثرها الشهى شرابه لأبر كل البر فى إيمانى

* * *

ومن أدباء الأزهر الشيخ عبد الهادى نجا الإبيارى المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ . وقد كثرت مؤلفاته ورسائله الأدبية إلى درجة كبرى . ومن هذه الرسائل ما عرفه الأدباء المطلعون جميعا مما دار بينه وبين الشيخ ابراهيم الأحدب الأديب اللبنانى الكبير ، وقد طبعت هذه الرسائل على حدة باسم (الرسائل الأحدبية) وقد التزم الشيخ فيها طريقة السجع ولو كان متكلفا كما هو مذهب الأدباء فى وقته . قال يصف ابتداء تعارفه بالشيخ إبراهيم الأحدب « بينما أنا جالس فى بيتى إذ بشخص قدم على يقدمه من جمال الهيئة وكمال الهيبة نور جمال وجلال ، ويتبعه جماعة يخطو ويخطر كل منهم من اللطف والظرف فى أبهج سربال ، فقمت فقابلتهم أجمل مقابلة ، وداخلنى من الابتهاج بزيارة سيادتهم ما لبست به من الفرح والسرور خمائله ، فجلسوا برهة يالها من برهة ، كانت بما انتثر من حدائق حديثهم هى النزهة ، ثم قام حضرته وانصرف ، وقد أخذ بمجامع قلبى به الشغف . . . »

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومن شعره قوله يمدح الشيخ عبد الغنى الرافعى مفتى طرابلس الشام .

من آل رافع الذين عهدتهم ... فى كل ورد قد حلا أو مشرع
قوم بناؤهم جليل صنائع ... وبناء غيرهم جميل مصانع
أسنان مشط فى الفضائل لم يجد ... ماضى الزمان لأمرهم بمضارع

ومن أدباء الأزهر الشيخ حسين المرصفى مدرس الأدب والعلوم العربية بدار العلوم ، وقد تخرج فى الأزهر ولكنه اشتغل بالأدب وابتحر فى كتبه وهو طالب أزهرى ضرير فكان فى وقته آية . ولذلك اختير للتدريس بدار العلوم حوالى سنة ١٣٠٠ هـ . ومن كلمة له فى التآلف والتواد « . . إن من المشاهد كون النوع الإنسانى محتاجا فى حسن تعيشه ، وتحصيل أغراضه إلى ألفة ومودة ، واتصاف بأن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه . فإذا خرج بعض الناس عن الجمعية ، وسعى فى الأرض بالفساد ، وجب على الناس تأديبه بما يعيده إلى الصلاح . . . » .

* * *

ومن أدباء الأزهر السيد على أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ . وكانت تربيته أزهرية بحتة غير أنه غلب عليه حب الأدب فصار شاعراً من شعراء عصره . ومن شعره فى وصف الطبيعة والجمال :

نور زاهى الروض أم نور الصباح ... وابتسام الثغر أم زهر الأقاح
ونجوم تزدهى فى أفقها ... بوميض البرق أم كاسات راح
لا ولا بل بدر تم ينجلى ... للندامى فى اغتباق واصطباح
عجباً يبدى شمس الضحى ... فى معانى حسنه تعيا الفصاح

* * *

ومن أدباء الأزهر عظيم كبير الشأن هو عبد الله (باشا) . هذا الرجل لم يتعلم فى غير الأزهر ، ولكن تعلقه بالأدب وهو طالب أزهرى جعل منه ناثراً وشاعراً . وأجزم بأن هذا الأديب قد قرأ كثيراً للبديع الخوارزمى ، لأنه تأثره فى إنشائه بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية . هذا الأزهرى الفحل من الذين نضج أدبهم إلى أبعد الغايات وإن كان مسجوعا . وله فى تقدير الأدب رسالة يرى فيها أن علوم اللغة العربية ليست مقصودة لذاتها

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ولا تدرس لنفسها . وإنما هى للتوصل إلى الأدب الذى هو الثمرة المرجوة فى الحياة . والغصن الرطيب الذى هو الجوهر المقصود من تعليم علوم العربية . وهذا بعض من هذه الرسالة القيمة « . . . ياقوم . أهذا النحو وإعرابه ، والصرف وأبوابه ، والعروض وأوزانه وأبحره ، والمعانى وإنشاؤه وخبره ، والبيان وفرائده ، والبديع وشواهده . وهذه العلوم الموضوعة ، والأسفار المحمولة ، والدروس المأهولة . . . لمجرد معرفة ضرب زيد لعمرو ، وقتال خالد لبكر ، وأن قال أصلها قول . . والبحر الطويل من فعولن مفاعيلن ، ثم لا يعرف كيف ينظم ، والفصل والوصل . . والحقيقة والمجاز . . والتورية والجناس . . إذاً والله تكون تلك الفنون من أفانين الجنون . . عملا حابطاً ، وشغلا ساقطا ، وهوسا عاطلا ، ووسواساً باطلا . . ويكون واضعوها أساءوا إلى الناس ، وبنوا على غير أساس ، كلا إنما وضعوا هذه القواعد ، ليتكلموا بكلام العرب مثل ما تكلمت . . ويترجموا عن سرائر الضمائر كما ترجمت ، وينثروا وينظموا كما نثرت ونظمت ، وقد كانت العرب التى أودع الله الفصاحة لسانها ، تتكلم بهذه اللغة العلية على الفطرة الأصلية . . من غير هذه القواعد والأصول . . إلى أن خلف هذا الخلف ، فظنوا تلك الوسائل مقاصد ما ليس بعدها غاية لقاصد ، وحسبوا هذه الكتب تقصد لذاتها . . فوقفوا عندها . . واتخذوا الأدب وراءهم ظهريا ، وجعلوا النظم والنثر شيئا فريا » .

وأعتقد أنه لم يمل على هذا الأديب الكبير ـ هذا الكلام الحلو إلا أنه فقه معنى الأدب وفرق بين الوسائل وهى دراسة علوم اللغة ، وبين المقاصد وهى الإجادة فى فنى النظم والنثر .

أما شعره ففى درجة كبرى من الإجادة فى وقته . ومنه قوله يعتذر إلى السيد عبد الهادى نجا الإبيارى ـ المتقدم ذكره ـ يعتذر عن دعوة لم تصل إليه :

يا من بديع حلاه تزرى البديع وتذى
وافت عقيلة نظم تتلو فصاحة قس
فمن بالعفو إنى منه على غير يأس
وإن عتبت فحق وما أبرئ نفسى

حسن الشيخة

المحرر الأدبى بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية —

رأى العلماء المؤرخين
فى الفتوحات الإسلامية وأهدافها

عرضنا فى بحث سابق لقوى المسلمين البحرية وفتوحاتهم فى كافة أرجاء المعمورة . واليوم نقدم للقراء الأهداف التى خاض المسلمون من أجلها حروبهم وفتوحاتهم .

لقد حيرت الفتوح الإسلامية العلماء الاجتماعيين حيرة لم يجدوها حيال مسألة اجتماعية أخرى ، فقد بلغ ملك المسلمين فى ثمانين سنة حداً لم تبلغه جميع فتوحات الرومانيين فى ثمانمائة سنة ولم تصل أمة قبلهم ولا بعدهم إلى مثل ما وصلت إليه الأمة الإسلامية من سعة المالك ، ونفاذ الكلمة . ووحدة الأجزاء ، وارتياح الناس إلى حكومتها .

وقد افتنت العقول فى تعليل هذا التوفيق الباهر ، فقال بعضهم : إن سببه أن الأمم على عهد ظهور الإسلام كانوا فى شقاق بعيد . وثورات طاحنة . واختلافات دينية ، فدهمهم المسلمون وهم على تلك الحال فدوخوهم .

وقد رد على هذا التعليل بأن المسلمين لما ولوا وجوههم شطر الشام وفارس ومصر ، لم تكن دولتا الرومان والفرس فى حرب فيما بينهما ، ولا فى شقاق فى داخل بلاديهما . فكان هرقل فى أوج عظمته وأبهة ملكه ، لا يزعجه منازع فى بلاده ولا عدو مغير من خارجها .

نعم كانت فارس مقطعة الأوصال تحت حكومة إقطاعية ، استقل فيها كل أمير بما تحت يده ، لكنهم لما آنسوا استفحال شأن العرب ، وحدوا كلمتهم ، وعدلوا صفوفهم ودانوا كلهم لملك اختاروه من أعرق أسرهم الملكية وهو يزدجر ، فلما واجه سعد بن أبى وقاص فارس واجه منها أمة متراصة الآحاد كالبنيان ، متحالفة الجماعات على الاستماتة فى الدفاع : لأنهم كانوا يملكون عرباً كثيرين ، ويأنفون أن يكونوا محكومين بهم .

فانهار بذلك قول الذين يعللون الفتوحات الإسلامية ، بتخاذل الشعوب وتناحرها ،

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

ومهما كانت الشعوب متخاذلة فهل يعقل أن أمة واحدة تتحكم فى الأرض فلا تجد من يصدها عن أغراضها ، لا سيما وهى خارجة من بلاد طال عليها الثوى فيها ، بادية غير متحضرة ؟

ومن الناس من عللها بحب الكسب والمغانم ، فلما اطمأنوا إلى داعية منهم يقودهم إليها التفوا حوله وأيدوه ، وقاموا بما قاموا به مما ظاهره فتح وباطنه غنيمة . وهذا تعليل يحمل فى أطوائه عناصر فنائه ؛ لأن النبى صلى الله عليه وسلم أول من دعاهم إلى الخروج من تقاليدهم ، وترك موروثاتهم واتباع أحكام العقل فى عقائدهم ، وقد لبث فيهم سنين كثيرة يدعوهم إلى هذه الأصول ، حتى آمن به جمهور من الناس ، ولم يأمرهم بالقتال للدفاع عن أنفسهم إلا بعد أن انتقل إلى المدينة ، وهنالك اشتغل بنشر الإسلام بين القبائل ، ودعوته إليهم صريحة لا لبس فيها ، وليس منها وجوب مقاتلة الأمم طلباً للغنم منها . فأساس هذا الدين هو تصحيح الفطر ، وتقويم النفس ، وإصلاح القلب ، والسمو إلى أرفع ما يصل إليه جهد طالب الكمال ، أما ما تقتضيه الحياة الاجتماعية بعد ذلك من حماية الحوزة ، أو نشر الدعوة ، أو غير ذلك فقد سنت لها أحكام لم ير العالم أعدل منها ، كما سبق لنا بيانه فى مقالات سابقة . فمن أين يستدل أصحاب هذه الشبهة على ما يقولون ، وليس له أثر فى كتاب ولا سنة ، ولا فى شرح من شروح الأئمة ؟ .

وذهب الحكيم الفرنسى مونتسكيو فى كتابه أصول الشرائع إلى رأى آخر فقال عند إلمامه بالإتاوات الحكومية : « إن هذه الإتاوات المفروضة كانت سبباً لهذه السهولة الغريبة التى صادفها المسلمون فى فتوحاتهم . فالشعوب رأت بدل أن تخضع لسلسلة لا تنتهى من المغارم ، أن تخضع لأداء جزية طفيفة ، يمكن توفيتها بسهولة وتسلمها بسهولة كذلك ، ووجدت نفسها سعيدة بأن تستخذى لأمة متبربرة تعاملها على هذه الصورة من أن تدين لحكومة فاسدة كانت تكابد تحت سلطانها كل ضروب الموانع دون حرية لم تنعم بها قط ، مضافا إليها كل ويلات عبودية عنيدة » .

لا مشاحة فى أن العالم الفرنسى لم يعرض فيما عرض من رأى إلى فتوحات المسلمين ، بل أظهر وأشاد بتسامحهم فى فتوحاتهم ، فأول فتوحات المسلمين كانت الشام تحت قيادة أبى عبيدة ابن الجراح ، ولم يكن العرب قد جروا من أمر الجزية فى شعب على سنة تسامعت بمزاياها الأمم الأخرى ، فالتقت الجيوش الإسلامية بجيوش رومانية مدربة تفوقها عدداً وعدداً .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فهزمتها وأجبرتها على ترك حصونها المنيعة وقلاعها التى لاترام ، ولم تكف عنها حتى فتحت الشام كلها وغادرها إمبراطور الرومان وهو يقول : « أودعك أيتها البلاد الى الأبد ؟! » .

فأى سيرة استعمارية كانت قبل هذه فتت فى عضد الجيوش الرومانية وحسنت لها التسليم للعرب ؟ وأية علاقة بين الجيوش المحاربة وبين قلة الإتاوات أو كثرتها ؟ إن المحاربين كانوا هم الطبقة الثانية فى تلك الأمم بعد رجال الدين ، وكانوا متحكمين فى رقاب الدهماء يبتزون أموالهم ولا يدفعون للحكومة أموالا ، فالمعقول أنهم كانوا يقاتلون أعداءهم بكل ما أوتوا من قوة مادية ومعنوية ، لا أن يسلموا ليكونوا رعية لهم ، وليسوا هم بالذين تفتنهم قلة الإتاوات ، ولا الحرية المحبوبة . فقد كانوا منها بالمكان الممتاز .

وفى الوقت الذى كانت فيه الجيوش الإسلامية تهزم جميع الرومانيين ، كانت جيوش أخرى لهم ترد جنود الفرس المعروفين بصلابة العود على أعقابهم فى ذات بلادهم ومثلهم كمثل الرومانيين فى الامتيازات المالية والأدبية ، ويسقطهم من مراتبهم تغلب جنود أجانب عليهم .

إن تعليل منتسكيو كان يؤخذ به لو أن العرب كانت لهم مستعمرات تنعم باليسر ، وكانت الجيوش المحاربة تعامل بالعسف ، وتئن تحت أثقال الضرائب ، أو لو كانت الأمم نفسها هى التى تحارب . وقد قلنا إن المسلمين إذ ذاك كانوا لا يزالون فى أول عهدهم ، ولم تبل الأمم من حكمهم ما يحببها فيهم .

على أن منتسكيو يصف المسلمين الأولين بالأمة المتبربرة ، فهل عهد فى تاريخ البشر أن أمة متبربرة تكون مثلا يضرب فى قناعتها ، وحسن معاملتها لمن تقهرها من الأمم ؟ إن المعروف بين الناس أجمع أن الأمم المتبربرة لا تقف نهمتها للمال عند حد ، فلا تزال بالمقهور حتى تبيد خضراءه ، ولا تدع له شيئاً . فمن أين جاء هذا الأدب العالى للمسلمين ، والمتبربرون فى نظر مونتسكيو ، على خلاف سنة العالمين قديماً وحديثاً ؟ .

إن منتسكيو قد زاد المسأله إشكالا ، ولا يحلها إلا افتراض واحد وهو الحق ، إن الأمة الإسلامية كانت على شريعة إلهية تمثل أعلى درجات العدل والإنصاف ، وان ما احتازته من الملك الذى لم ينبغ لأمة قبلها ولا بعدها ، لم يقو على إفساد قلوبها كما أفسد قلوب

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفاتحين قبلها ، وإن الله قد أيدها بروح من عنده ، وقذف بها فى وجه العالم لترده عن الغى الذى كان فيه ، ولتحطم القيود والأغلال التى كانت فى أعناق الأمم .

هذا هو التعليل الذى يتسق مع المنطق والعقل ، والله غالب على أمره .

إذن فنسق الفتح الإسلامى الذى اتجهه المسلمون فى صدر الإسلام كان وحيداً فريداً يتسق كل الاتساق مع الأغراض التى يرمى إليها الإسلام فى أخص صوره وأنبل مراميه .

أما الفتح الذى اتجهه المستعمرون ولا يراد به إلا امتصاص دماء الشعوب وقتل خواص الفضائل والمزايا فى تلك الشعوب والقضاء على المعنويات التى تعتبر من أكبر مقومات الأمم وأسمى مقدراتها ، فذلك فتح آخر بعيد عن الإنسانية ، بعيد عن الأخلاق المثالية ، بعيد عن كل ما تصبو إليه رسالة الإنسان فى كل عصر وجيل . ويقيننا أن هذا الليل وشيك الانصرام فلا بد أن تخرج المدرة من بين حب الحصيد ، ولا بد أن تنفرج لمة الظلام من جبين الصباح .

يا نائم الليل مغتراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

عباس طه

المحامى

باب وصف الكتب

ضاق هذا الجزء عن باب وصف الكتب ، وموعدنا به الجزء الآتى إن شاء الله .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تعليقات

معهد الرقص

نشرت الصحف أخيراً أن الوزير فتحي رضوان - يوم كان - سينشئ معهداً للرقص وأنه على وشك الظهور في القاهرة . ونحن - إزاء مشروع كهذا - لا نستبيح السكوت عنه . وإن كنا لا نملك وقفه مهما كنا على حق في إنكاره .

وإذا كان لبعض الهواة جهود ونشاط في الترويج للرقص ، والعناية بإنشاء معهد له ، فلن يستطيع امرؤ منا أن يعتبر هذا المشروع سائغاً من الوجهة الإسلامية ، أو يراه عملاً أدبياً يتفق وتقاليدنا الشرقية ، أو يزعمه هدفاً من الأهداف المشكورة التي تتجه إليها الثورة الرشيدة في عهدنا الجديد : عهد البناء ، والتطهير ، والإصلاح الشامل .

وهل الرقص الذي يتهافت عليه أنصاره إلا تشجيع على المخالطة ، وانتزاع للحياء من الوجوه حتى يهون على الفتاة والمرأة وإن كانت مسلمة أن تخاصر زوجها أو الأجنبي عنها ، وتراقصه على مشهد من النظارة في ظل هذا التشريع ؟ ثم يكون له من الأثر في ضيعة الأخلاق ما يكون ، والحوادث شاهدة بذلك كل يوم ، وآخرها حادث الإسكندرية الذي تحدثت عنه الصحف منذ أيام قريبة .

إذا كان للتحلل والميوعة . والاندفاع في التقليد للغير أثر واضح في الانحراف الذي نشهده في بعض البيئات . وينكره المجتمع الأغلب فلسنا على صواب إذا رضينا عن نشاط المجددين في ابتكار هذه العوامل الهدامة للأخلاق ، وزحزحة الأمة عن خصائصها الموروثة ودفعها إلى مسايرة الغير في مجال الإباحية .

والأمر بحاجة إلى التريث في هذه الاتجاهات ، وإلى استغلال الفرص والإمكانيات

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى دعم الآداب ، وصيانة القومية من التلون بلون أجنبى عنها ولا يتمشى مع الطابع الشرقى الذى نذود عنه بأرواحنا وقوانا .

على أن الشخصيات النبيلة التى تتولى قيادنا فى معترك الحياة لا تجنح إلى مثل هذا التقليد ولم نعرف عن واحد منهم ـ والحمد لله ـ أنه يراقص ، أو يستبيح الرقص لمن يعيشون فى ظله أو ينتمون إليه بسبب ، وهم قدوة لنا فى السير إلى الأمام .

قالوا فى ترويجهم للرقص ونحوه : إنها فنون جميلة ، وإن الفن هو حياة الشعوب ، ومظهر حضارتها ، فمعارضة الفن عندهم تعتبر جموداً وتخلفاً عن الإسهام فى الحضارة ، ونحن ـ رجال الدين ـ نبادر فنعلن إيماننا بالفن والترحيب به ، والدعوة إلى توسيع مجاله ، ولكنه الفن الإيجابى الذى ينفع ولا يضر ، ويبنى ولا يهدم ، ويشرف ولا يخزى ويخجل . نحن نؤمن بالفن الجدى لا بالفن الهزلى الذى يذهب بقيم الحياة .

وهل الفن إلا بهجة من بهجات الحياة ، وروعة من روعات الإبداع فى الصناعة ، وإبراز لما أودع الله فى الطبيعة من أسرار .

وهل الفن إلا عبقرية فى استخدام الطبيعة وتهذيبها وتجميلها حتى تكون مثار الإيمان بقدرة الله ، والاعتراف بنعمه ، والإقرار بأن الله صنع ما صنع فى ملكه ، ووهب الفنان عبقرية تكشف ما خفى على غيره من السمو والجمال ، وتتجه بالعقول إلى بارئ السموات والأرض الذى أبدع ما أبدع فى دنيانا ، لينعم الإنسان فى حياة هنيئة ، ويستجيب لدعوة الله التى تنبض بها تلك الحياة فى كل جانب من جوانب الكون ، وفى كل مظهر من مظاهر الكائنات ؟ ؟ .

والقرآن يحثنا على النشاط والإتقان ، ويدفع بنا دفعا قويا فى المجال العملى الفسيح : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » . « إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها » « وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج » . « صنع الله الذى أتقن كل شىء » .

وهكذا نرى للفن شأنا فى نظر الدين ، ونسمع الدعوة إلى الفن فى أسلوب القرآن مما يطول بنا ذكره .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فغير صحيح أننا نعارض الفن فى ذاته ، بل نعارض الخطأ فى تطبيق الفن على كل ما يروقهم من ضروب الباطل . ونعارض النشاط فى ترويج الرذائل ، وهى فى غير حاجـــة إلى الترويج والتشجيع .

فمن الخير أن نعيء الجهود كلها ، ونبذل النشاط كله فى نواحى المجد ، وأن نترك لغيرنا ما ألفوه من تقاليد مرذولة . كما رسمت لنا الثورة وسارت بنا فى سبيلها الرشيدة .

وهذا هو ما نقف عنده وندعو إليه .

ولعلنا نسلم من غضبة عشاق الرقص ، ومن خصومه المسرفين فى تطوير الفنون بصفة الإطلاق والتعميم .

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء
ومدير التفتيش بالأزهر

المدنية الحديثة

قال جودا أستاذ الفلسفة الانجليزية فى كتابه (سخافات المدنية الحديثة) :

وإن المدنية الحديثة ليس فيها توازن بين القوة والأخلاق . فالأخلاق متأخرة جدا عن العلم . ومنذ النهضة ظل العلم فى ارتقاء ، والأخلاق فى انحطاط . حتى بعدت المسافة بينهما « وبينما يتراءى الجيل الجديد للناظر فتعجبه خوارقه الصناعية وتسخيره المادة والقوى الطبيعية لمصالحه وأغراضه ، إذا هو لا يمتاز فى أخلاقه - فى شرهه وطمعه . وفى طيشه ونزقه ، وفى قسوته وظلمه - عن غيره . وبينما هو قد ملك جميع وسائل الحياة . إذ هو لا يدرى كيف يعيش . وإن توالى الحروب العظيمة الهائلة دليل إفلاسه . وأنه يرى نشأه لتموت ، وقد خولت له العلوم الطبيعية قوة قاهرة ، لكنه لم يحسن استعمالها ، فكان كطفل صغير أو سفيه أو مجنون » . وقال : « إن فيلسوفا هنديا سمعنى أطرى حضارتنا بأن سائق سيارة قطع كذا ميلا فى الساعة ، وأن طائرة طارت من موسكو إلى نيويورك فى كذا ساعة فقال لى ذلك الفيلسوف الهندى : إنكم تستطيعون أن تطيروا فى الهواء كالطير ، وأن تسبحوا فى الماء كالسمك ، ولكنكم إلى الآن لا تعرفون كيف تمشون على الأرض » .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الأدب والعلوم

المجلس الأعلى للعلوم

صدر قرار جمهوري بإعادة تأليف المجلس الأعلى للعلوم بالجمهورية العربيـــة المتحدة ، وهو يقضي بأن يكون رئيس المجلس من بين الوزراء ، ويضم وكلاء عشرة وزارات ، ومدير المركز القومي للبحوث ، وممثلا من كل جامعة ، وعضواً عن مؤسسة الطاقة الذرية ، واثنين عن مجلس إدارة الاتحاد العلمي ، وعشرة أعضاء من المتصلين بالبحث العلمي .

وسيمنح العضو المتفرغ بالمجلس مكافأة سنوية ١٨٠٠ جنيه ، وغير المتفرغ مكافأة حدها الأقصى ٦٠٠ جنيه .

تشجيع البحوث العلمية

سيوزع مركز البحوث القومي في الجمهورية العربية المتحدة ثلاثين ألف جنيه في هذا العام على طلبة البحوث العلمية ، فيمنح كل باحث مائتي جنيه في السنة لإعانته على إتمام بحثه وتقديم نتائجه في أقرب فرصة .

ويتم اختيار الباحثين من خريجي الكليات العلمية العربيـة وفقاً لمشروعات بحوثهم ، ومن أهم شروطها أن يخدم البحث الاقتصاد العربي ، ويعمل على زيادة الإنتاج القومي .

وقد تم حتى الآن ٨٥ بحثاً في مختلف فروع العلم والصناعة والزراعة . وينتظر أن تنتهي لجان قبول البحوث من اختيار ٦٥ بحثاً جديداً من البحوث التي قدمت إلى المركز .

تشجيع التفوق في المدارس

أصدر وزير التربية والتعليم قراراً بتقديم منح مالية للمتفوقين في جميع مراحل التعليم ، تصرف لهم على أقساط شهرية ، وبمقادير تحقق لهم متابعة دراساتهم ، كل حسب تفوقه . المنحة الأولى ١٢٠ جنيهاً للمستجدين في الكليات والمعاهد لمدة سنة إذا كانوا متفوقين في الثانوية العامة والثانوية الفنيـة وشهادات المعلمين والمعلمات أو في امتحانات النقل بالكليات والمعاهد بتقدير «ممتاز» أو حاصلين على ٨٥ ٪ من المجموع ، وللخمسة الأول من الثانوية الصناعية والزراعية .

المنحة الثانية ٨٤ جنيهاً للمتفوقين في الكليات والمعاهد إذا حصلوا على ٨٠ ٪ فأكثر ، وكذلك للناجحين في امتحان النقل .

المنحة الثالثة ٤٨ جنيهاً للحاصلين على ٨٥ ٪ فأكثر في امتحانات النقل بالكليات والمعاهد العـالية .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

المنحة الرابعة ٣٦ جنيهاً للخمسة الأوائل فى الإعدادية بالأقليم المصرى، وللثلاثة الأوائل بالأقليم السورى ، وللبنات حق استبدال المنحة بالالتحاق مجانا بالأقسام الداخلية بالمدارس الثانوية لمدة ٣ سنوات .

المنحة الخامسة الإعفاء من نفقات التعليم العالى ورسوم الكليات والمعاهد العالية لكل من حصل على ٧٥ ٪ فأكثر فى الشهادة الثانوية وما يعادلها .

اتفاقنا الثقافى مع العراق

وقع السيد كمال الدين حسين فى بغداد نيابة عن الجمهورية العربية المتحدة الميثاق الثقافى العربى مع الجمهورية العراقية . وقد مثل العراق السيد هديب الحاج حمود وزير المعارف بالنيابة . وقال كمال الدين حسين : إن هذا الاتفاق حلقة من سلسلة الانتصارات التى حققها أبطال العراق يوم ١٤ يوليو ، وفى ثناياه معنى آخر غير مكتوب يشير إلى أنه ميثاق يجمع الأمة العربية كلها . وقد نص الميثاق على تنظيم التعليم فى ٣ مراحل على ما سبق لنا تفصيله فى حينه .

أجهزة الطبيعة الذرية

وصلت إلى مصر أجهزة من ألمانيا تبلغ قيمتها ٣٠ ألف جنيه ، سيعمل عليها خمسة طلاب بحوث ، لإجراء التجارب الخاصة بالطبيعة الذرية فى المركز القومى للبحوث .

وسيشرف على هذه التجارب البروفسور الألمانى ستوفسكى ، الذى سيتقاضى مرتباً من هيئة اليونسكو يبلغ ٢٠٠ جنيه شهرياً .

دراسات عليا للبترول

أنشأت الهيئة العامة للبترول معهداً عالياً للدراسات العليا لشئون البترول ، وقررت أن يكون مقره محمل تكرير البترول فى السويس . ومدة الدراسة فى هذا المعهد سنتان ، وهى بالمجان لخريجى الجامعات ، وتشمل دراسة جيولوجيا البترول ، وهندسة إنتاجه ، وتكريره ، وكيمياء البترول ، والتشريعات البترولية .

الانتساب للجامعات

بلغ عدد المنتسبين من شعبتى الآداب والعلوم ٣٨٥٢ طالباً وطالبة ، فقد قبل من القسم العلمى جميع المتقدمين من الحاصلين على ٥٠ ٪ فأكثر فى المجموع الكلى للدرجات وعددهم ٢١١٤ ، وقبل من القسم الأدبى الحاصلون على ٤٤ر١ ٪ من المجموع الكلى للدرجات وعددهم ١٣٧٨ . فالتحقوا بكليات الآداب والحقوق والتجارة .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

أنباء العالم الإسلامي

تنظيم الحكم

فى الجمهورية العربية المتحدة

أعلن الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة التنظيم الجديد للحكم فى الجمهورية العربية المتحدة . وهـذا التنظيم يوزع المسئوليات على ثلاث وزارات : الوزارة المركزية ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم المصرى ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم السورى . وتتألف الوزارة المركزية ـ بعد رئيس الجمهورية ـ من اثنين وعشرين وزيراً فى طليعتهم نواب الرئيس الثلاثة : السيد عبد اللطيف البغدادى ويتولى وزارة التخطيط والمشير عبد الحكيم عامر ويتولى وزارة الحربية والقيادة العامة للقوات المسلحة ، والسيد أكرم الحورانى ويتولى وزارة العدل . وفى الوزارة المركزية ثمانية وزراء من الإقليم السورى و ١٥ من الإقليم المصرى . والمجلس التنفيذى لوزارة الأقليم المصرى يتألف من ١٤ وزيرا ويرأسه السيد نور الدين طراف ، والمجلس التنفيذى لوزارة الإقليم السورى يتألف كذلك من ١٤ وزيرا ويرأسه السيد نور الدين كحالة ، وقد اختير فندق «هليوبوليس بالاس» فى مصر الجديدة ليكون مقراً للوزارة الاتحادية وهو يحوى ثلاثمائة غرفة ، وفيه عدد من القاعات التى تصلح للاجتماعات . ومن الصدف أن طراز بنائه عربى .

نظام اللامركزية الإدارية

تقرر العمل بنظام اللامركزية الإدارية ، حيث يؤلف مجلس قروى لكل ثلاثة آلاف من السكان ، ومجلس بلدى لكل ١٥ ألفا من سكان المدن ، ومجلس المديرية بأعضائه المنتخبين والمعينين هو المجلس الموكل بكل عمل وكل إصلاح فى لا مركزية مطلقة . والمحافظ هو المسئول عن نشاط هـذا المجلس أمام رئيس الجمهورية مباشرة .

السد العالى

اتفق المشير عبد الحكيم عامر مع الرفيق خروشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى على أن يقدم الاتحاد السوفيتى إلى الجمهورية

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

العربية المتحدة ٤٠٠ مليون روبل للمساهمة فى تمويل إنشاء السد العالى ، وذلك على شكل قرض يبدأ سداده بعد أن ينتهى المشروع ويأتى بثمراته كاملة . وسيكون تقديم القرض معدات وآلات مما يحتاج إليه فى إقامة السد .

إن احتياجات الرى للماء تقدر فى الوقت الحاضر بحوالى ٥٢ ملياراً من الأمتار المكعبة سنويا لمصر ، وبنحو ٣ر٥ مليار للسودان . وإيراد النيل من المياه متذبذب : يرتفع فى أحد الأعوام إلى مايزيد عن الحاجة وينخفض فى معظم الأعوام إلى درجة تضر بالزراعة ، وفى الحالتين فإن كميات عظيمة من مياه النيل تذهب فى البحر كل عام . وقد سبق معالجة ذلك بطريقة « التخزين السنوى » بإقامة خزان أسوان وخزان جبل الأولياء ، فأفاد فائدة محصورة بالقدر المزروع الآن من الأراضى ولمدة السنة فقط . ويراد الآن من السد العالى الإفادة فى توسيع مساحة الأراضى الزراعية بما يتناسب مع زيادة السكان . وأن يكون التخزين « تخزيناً دائما » ، فجعل تصميم السد العالى على أن يكون حجمه معادلا لحجم الهرم الأكبر ١٧ مرة ، ويبلغ حجم الهرم الأكبر ٢ر٥ مليون متر مكعب ، فالسد العالى سيمكن مصر من توسيع أراضيها الزراعية ٢ مليون فدان ، وسيضمن احتياجات الرى لجميع الأراضى المنزرعة ـ الحالية والمستجدة ـ فى جميع السنين وسيحسن صرف جميع الأراضى الزراعية بما يزيد غلتها سنوياً بحوالى ٢٠ ٪ ، وسيضمن زراعة ٧٠٠ ألف فدان أرز سنوياً ، ويقى البلاد وقاية كاملة من غوائل الفيضانات العالية وسيحسن حالة الملاحة النيلية ، وستتحسن به اقتصاديات مشروع كهربة خزان أسوان الحالى بما يضاعف من الطاقة الكهربائية للمحطة ، وسينتج طاقة كهربائية تقدر بنحو ١٠ مليار كيلوات ساعة فى السنة (أى حوالى عشرة أمثال الطاقة التى تستغلها البلاد فى الوقت الحاضر) مما يساعد على إقامة صناعات جديدة وزيادة انتاج مصنع السماد ، ويوفر حوالى مليونى طن مازوت سنويا ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة بمبلغ ٢٢ مليون جنيه ، كما يزيد الدخل القومى السنوى بمبلغ ٢٥٥ مليون ج وسيتمكن السودان من توسيع زراعته بضعف المساحة المنتفع بها فى الوقت الحاضر ويضمن احتياجات الرى لجميع الأراضى المزروعة ، وسيتوسع فى زراعة القطن طويل التيلة ، ويزيد الدخل السنوى للحكومة والدخل القومى من الزراعة بحوالى ٢٠٠ ٪ ، وسينتفع بالسدود التى ستقوم الحكومة السودانية بإنشائها ، ويمكن ملء الخزانات التى تقيمها حكومة السودان من المياه الزائدة نسبيا مما يطيل فى عمرها .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

فى جامعة الدول العربية

فى يوم ١٧ ربيع الأول (أول اكتوبر) عقد مجلس الجامعة العربية أولى جلساته لإعلان انضمام المغرب وتونس إلى الجامعة ، وقيام جمهورية الجزائر ، وكانت من الجلسات المشهودة فى تاريخ الجامعة ، وبعد انتهاء رؤساء الوفود من إلقاء كلماتهم نهض رئيس وفد المغرب فهز المجلس بكلمة خطيرة قال فيها : كنا دولة محتلة فلم نتمكن من الالتقاء مع أشقائنا فى جامعتنا قلب الأمة العربية ، والآن أتينا كم لنضع مشاكلنا أمامكم . إنه لا تزال فى المغرب جحافل من جيوش المستعمرين الغاشمين : إن صحراء المغرب لم تتحرر بعد ، والحدود المغربية لم تعين معالمها ، ونحن مستعدون للوفاء بميثاق الجامعة ، وتحمل كل التبعات والالتزامات ، لنساهم جميعا فى حل مشاكل العرب التى هى وحدة قائمة لا انفصام لها ، وإن المغرب يعتبر استقلاله ناقصا ما دامت جيوش فرنسا تحتل الجزائر ، ولا نعتبر استقلال المغرب تاما إلا باستقلال الجزائر ، وسنعمل معكم لنصل إلى غايتنا الكبرى .

ولم يشترك وفد تونس فى هذه الجلسة ،

وتلقى أمين الجامعة برقية بعيدة الأهداف من ملك المغرب جوابا على برقية تهنئة بانضمام المغرب إلى الجامعة ، وأرسل السيد أحمد عبد السلام بلافريج رئيس حكومة المغرب برقية شكر على ما أبداه مجلس الجامعة العربية من عواطف كريمة نحو المملكة المغربية وشعبها .

وفى يوم ٢٧ ربيع الأول (١١ اكتوبر) انعقد مجلس الجامعة العربية للترحيب بانضمام تونس للجامعة ، ففوجئت وفود الدول العربية بهجوم مندوب تونس على الجمهورية العربية المتحدة مرددا الاتهامات التى يروجها أعداء العروبة من باريس ولندن ونيويورك فاضطر وفد الجمهورية العربية المتحدة إلى الانسحاب من الجلسة احتجاجا ، وثارت جميع وفود الدول العربية على وفد تونس الذى عكر جو الجامعة العربية . ووجه رئيس مجلس الجامعة (وهو فى هذه الدورة رئيس الوفد السعودى) اللوم إلى مندوب تونس على موقفه وقال : إن هذه سابقة لم تحدث من قبل ، وبعد انسحاب وفد الجمهورية العربية المتحدة طلبت وفود الدول العربية من رئيس وفد تونس أن يعتذر ، فأجاب بأن ما صدر عنه كان بتعليمات وردت إليه من حكومته ، وأن نص خطابه أرسل إليه من بورقيبة .

وقد تبين أن الذى حمل بورقيبة على ارتكاب هذه الحماقة سبب شخصى وهو لجوء الزعيم التونسى السيد صالح بن يوسف إلى مصر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

وكان نائب بورقيبة ثم اختلف معه فحكم عليه بالإعدام ، وسبب سياسى وهو أن بورقيبة يؤمن بالميول الغربية ، وهو مصمم على السير فى موكب السياسة الفرنسية والأمريكية ، وهكذا قطع بورقيبة أواصر العروبة بينه وبين جامعة الدول العربية والقومية العربية .

وفى شهر ربيع الأول (١٣ اكتوبر) عقد مجلس الجامعة العربية جلسة علنية حضرها جميع مندوبى الصحف ووكالات الأنباء ، واتخذ فيها - بالإجماع - قرار تاريخى باستنكار كلام وفد تونس وشطبه من محضر الجلسة التى ألقى فيها واعتباره كأن لم يكن ، وإبلاغ وفد الجمهورية العربية المتحدة هذا القرار ودعوته لاستئناف مشاركته فى جلسات المجلس وأعماله

وقد كان وفد المغرب من أشد الوفود العربية استنكارا لموقف تونس ، وألقى رئيسه كلمة رائعة كانت موضع الاستحسان من حكومته ، وأذاعتها محطة إذاعة الرباط ثلاث مرات فى يوم واحد .

ومن العجيب أن يحمل بورقيبة كل هذا الحنق على لجوء مواطن له من أكرم المواطنين التونسيين إلى مصر . مع أن بورقيبة نفسه كان لاجئاً فى مصر مدة طويلة ، وقامت له مصر بالإكرام الذى تراه واجباً عليها لكل سياسى عربى يتخذها وطناً له كوطنه ، وان فرنسا نفسها على غطرستها كانت أقل من بورقيبة حنقاً على مصر بسبب هذه السياسة الطيبة الكريمة .

انسحاب أمريكا من لبنان

فى يوم ١٥ ربيع الآخر (٢٥ أكتوبر) تم جلاء جميع القوات الأمريكية عن لبنان . وكان مقرراً أن يكون الانسحاب فى آخر أكتوبر فتم قبل موعده بستة أيام . وقد جرت عملية الانسحاب سراً فى الصباح المبكر على ست سفن بحرية وعدد من الطائرات تحمل آخر دفعة من جنود المظلات إلى ألمانيا الغربية . وعند الظهر غادر بيروت الجنرال أدامز القائد العام لتلك القوات يرافقه مساعدوه العشرة . ولم يعلم بإتمام الانسحاب قبل موعده المقرر سوى الرئيس اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية ، ولم يبق فى بيروت إلا عشرة ضباط لتصفية المسائل الإدارية على أن يرحلوا آخر الشهر المقبل .

الجلاء عن الأردن

فى ١٩ ربيع الآخر (٢٩ اكتوبر) تم انسحاب القوات البريطانية بأكملها من الأردن وقد تولى الجيش الأردنى إنزال علم بريطانيا من المطار فور جلاء آخر جندى انجليزى عن البلاد ، وكانت قوة جنود المظلات البريطانية مؤلفة من ثلاثة آلاف جندى بقيادة

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

البريجادير توم باسون الذى رحل على طائرة نقل من طراز فالبتا ، وقد ظلت عملية نقل هؤلاء الجنود بطريق الجو تجرى بصفة مستمرة مدة خمسة أيام ، وقامت طائرات النقل بتسعين رحلة إلى قبرص مارة فوق الأراضى السورية بإذن من الجمهورية العربية المتحدة .

تسليح إسرائيل

أعلن فى لندن رسمياً أن بريطانيا باعت لإسرائيل غواصتين حمولة كل منهما ٧١٥ طناً وهى فوق الماء و ١٠٠٠ طن وهى تحت الماء ، وقد صنعتا بين سنة ١٩٤٢ و ١٩٤٥ . وقد سلمت أولاهما لإسرائيل وأطلقت عليها اسم « تنين » أى « التمساح » ، والأخرى فى مالطة اسمها « سانجوين » . وقد حصلت إسرائيل من بريطانيا على أسلحة تقدر قيمتها بخمسين مليوناً من الجنيهات منذ قامت ثورة العراق فى يوليو هذا العام حتى الآن . وهذا غير ماحصلت عليه من أمريكا وفرنسا أخيراً ، ويقدر ماتسلحت به إسرائيل بين سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٧ بما يوازى ٧٠٠ مليون دولار .

وقد اعتبرت الدوائر المسئولة فى مصر هذه الخطوة الجديدة من بريطانيا على الخصوص عملا شديد الخطورة ضد القومية العربية ، وأنه لا يمكن السكوت عليه مهما كانت الأحوال ولابد من مواجهته برد فعل إيجابى .

وقد دلت مراقبة الحال فى إسرائيل على أنها تقوم بحشود وحركات عسكرية ترمى من ورائها إلى ضم القسم الغربى من الأردن عند سنوح أول فرصة ، بعد انسحاب القوات البريطانية من الأردن . ولما كان ذلك مما يستحيل أن تقف القومية العربية تجاهه وقفة المتفرج فقد جرت مشاورات عربية مهمة وضعت فيها الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية سياسة مشتركة لمواجهة تحركات إسرائيل ، وإن أية محاولة من جانب إسرائيل لاحتلال الضفة الغربية من نهر الأردن ستدفع الجمهورية العربية للعمل فوراً . ولن يقف العراق موقفاً سلبياً من إسرائيل اليوم كما وقف أيام نورى السعيد عند وقوع العدوان الثلاثى على مصر . فالحالة الآن فى هذه البقعة من الشرق العربى رهن بما يصدر عن إسرائيل من اتجاه بعد أن غمرها الغرب بهذه المقادير من الأسلحة التى تعتبرها القومية العربية خطراً موجهاً إليها بالذات ، والمسئول عن ذلك أولئك الذين يقفون من وراء إسرائيل ويمدونها بما قد يفقدها العقل والبصيرة .

من نتائج العداء القائم

قال وزير المستعمرات البريطانى مستر لينوكس بويد ، فى خطاب ألقاه فى مؤتمر المحافظين يوم ٩ أكتوبر : إن عداء الجمهورية العربية المتحدة التى يرأسها الرئيس جمال عبد الناصر قد خلق حاجزاً جوياً فى الشرق الأوسط يمكن أن يؤثر فى مؤننا ومواصلاتنا إلى الشرق الأقصى .

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

انقلاب عسكرى فى باكستان

وقع فى يوم الأربعاء ٢٤ ربيع الأول (٨ أكتوبر) انقلاب عسكرى فى باكستان ألغى فيه الدستور القائم، وأقيلت حكومة فيروزخان نون المركزية وباقى الحكومات الإقليمية، وحل المجلس التشريعى الوطنى والمجالس الإقليمية، وحلت الأحزاب السياسية ومنعت اجتماعاتها، وألغيت الانتخابات التى كان مقررا أن تجرى فى فبراير القادم.

وأظهر ما فى هذا الانقلاب تولى الجنرال محمد أيوب خان - قائد الجيش الباكستانى - منصب الحاكم العسكرى العام. وقد أعلن أن الانقلاب موجه إلى السياسيين الذين اتخذوا من الحكم وسيلة للتجارة فى السوق السوداء، وكانوا يسيرون بالبلاد إلى الهاوية، وأنه ضد عملاء الاستعمار الذين كان غرضهم الأوحد إرضاء المستعمرين على حساب مصلحة البلاد، والعناصر التى تعمل على إيجاد سوء التفاهم بين باكستان ودول أخرى كالجمهورية العربية المتحدة والهند والصين والاتحاد السوفيتى، كما أعلن رغبة هذا الانقلاب فى إقامة علاقات ودية مع جميع الدول، والاستمرار فى تنفيذ التزامات باكستان الدولية.

وأذاع بياناً قال فيه: «إنه لابد من إعلان حالة الطوارى، لأن ساسة تافهين قد خلقوا فوضى إدارية واقتصادية وسياسية وأخلاقية شاملة».

وفى صباح الاثنين ١٤ ربيع الآخر (٢٧ أكتوبر) تنازل اسكندر ميرزا عن رياسة الجمهورية الباكستانية خدمة للمصلحة العليا فى البلاد، وسافر فورا بالطائرة إلى مدينة كويتا بالقرب من الحدود الأفغانية ثم إلى لندن.

وباشر فى صباح اليوم التالى الجنرال محمد أيوب خان مهام منصبه الجديد رئيسا للجمهورية ورئيسا للوزارة ووزيراً للدفاع وحاكما عسكريا عاما، وكان أول قرار اتخذه بعد ذلك إخراج ثلاثة من كبار الموظفين المدنيين وتعيين ثلاثة من العسكريين بدلهم نوابا للحاكم العسكرى.

وأعلن الحرب على الفساد والرشوة والاختلاس وتقول اليونيتد برس إن ما يقدر بملايين الروبيات من الأقمشة المهربة والحبوب الغذائية أعلن التجار وجودها خوفا من الإنذار الذى وجهته الحكومة لمن لا يبلغ عن هذه البضائع

والجنرال محمد أيوب مولود فى منطقة الحدود وتلقى دراسته فى جامعة عليكره الإسلامية، ثم تلقى دراسته العسكرية فى كلية ساندهرست الحربية بانجلترا. وقبل ثلاثين عاما عين ضابطا فى جيش بلاده. وتدرج فى مراتب القيادة إلى أن عين قائدا للقوات الباكستانية الشرقية وهو من عشر سنوات برتبة لواء. وهو أول قائد عام للجيش الباكستانى تولى وزارة الدفاع ولاشك أنه الآن فى أعظم امتحان تعرض له فى حياته، فإن أحسن النجاح فيه بحكمة وإخلاص أوشك أن يكون من رجال التاريخ.

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

الفهرس

صفحة	الموضـــــوع	بقـــــلم
٣٠٥	ذروة الحق	الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس التحرير
٣١٣	نفحات القرآن : — ٦٤ —	« عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر . . . .
٣١٧	السنة ـ العين حق ـ	« طه محمد الساكت . . . . .
٣٢١	نقد كتاب « أضواء على السنة المحمدية » ـ ٤ ـ	« محمد محمد أبو شهبة الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين . . . . .
٣٣٠	عين فى سبيل الله	« أحمد الشرباصى المدرس بالأزهر . .
٣٣٥	تخطيط عريض للمجتمع السعيد	« منصور رجب . . . . .
٣٣٩	الوحدة العربية فى شمال إفريقيا . . .	« أحمد طه السنوسى . . . . .
٣٤٢	التوكل والتواكل	« عبد الله مصطفى المراغى . . .
٣٤٧	الفتوات	« محمد على النجار . . . . .
٣٥١	دعائم المنهج الخلقى الاسلامى — ٢ — .	« يس سويلم طه المنتش بالأزهر . .
٣٥٦	برامج ومناهج	« محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربى الحديث بجامعة الاسكندرية . . .
٣٦٨	التفسير العلمى للقرآن	« عبد الوهاب حمودة . . . . .
٣٧٣	مدحة على بن الحسين بن الفرزدق والحزين الكنانى	« على العمارى المدرس بالأزهر . . .
٣٧٧	المرأة فى ظلال الاسلام	« أحمد على منصور . . . . .
٣٨٠	رسالة الأدب (بقية رسالة الأدب) ـ ٤ ـ	« حسن الشيخة المحرر الأدبى بجريدة الشعب وعضو نقابة الصحفيين . .
٣٨٥	رأى العلماء للمؤرخين فى الفتوحات الاسلامية .	« عباس طه المحامى . . . . .
٣٨٩	تعليقات	« عبداللطيف السبكى عضو جماعة كبار العلماء ومدير التفتيش بالأزهر . . . .
٣٩٢	الأدب والعلوم	المجلة
٣٩٤	العالم الاسلامى	«

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

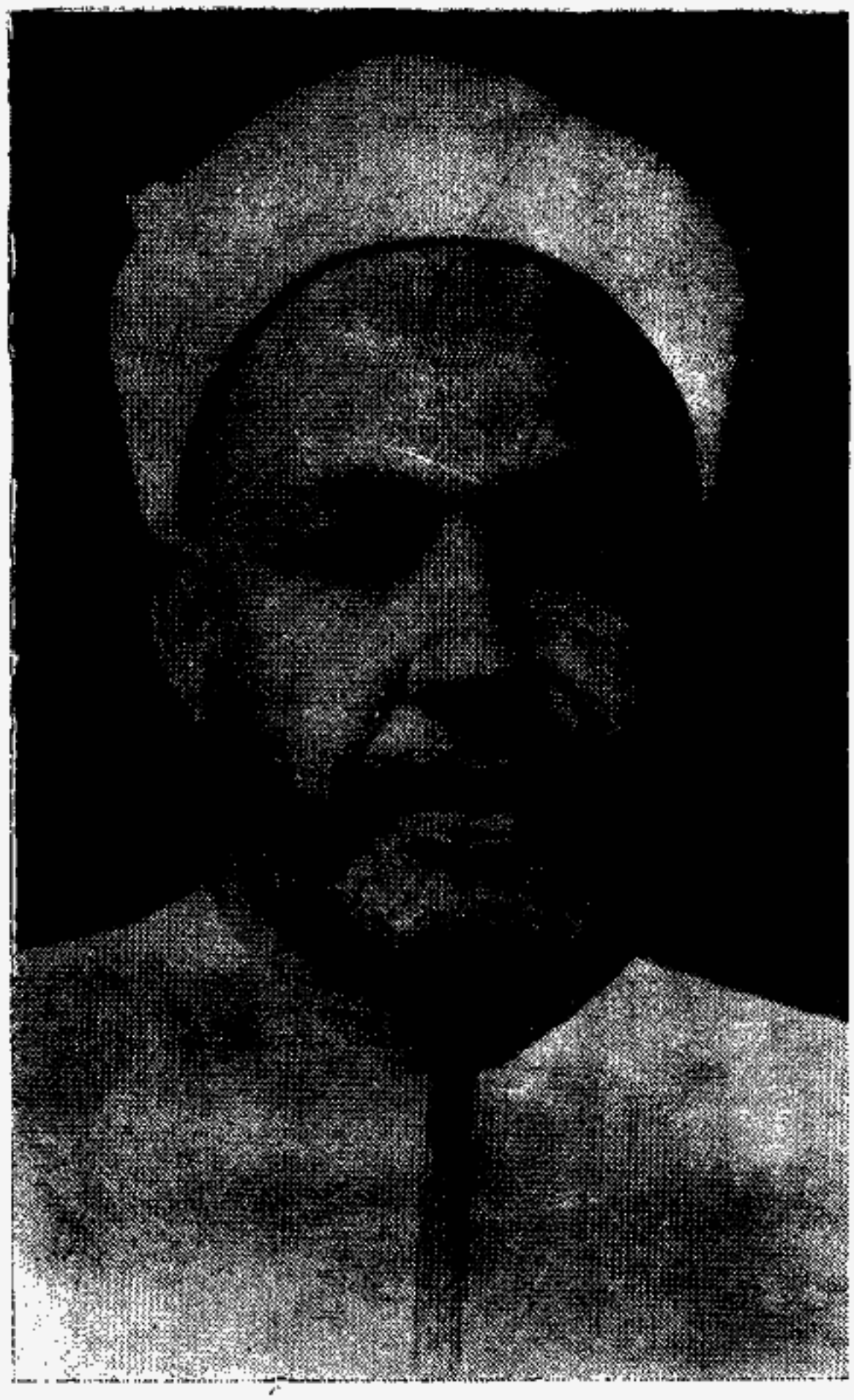

قرار رئيس الجمهورية العربية المتحدة

رقم ١٥٣٣ لسنة ١٩٥٨ بتعيين وكيل للجامع الأزهر والمعاهد الدينية

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له

قـــرر

المادة الأولى : عين السيد الأستاذ الشيخ محمد نور الحسن عضو جماعة كبار العلماء وكيلا للجامع الأزهر والمعاهد الدينية .

المادة الثانية : على وزير الدولة تنفيذ هذا القرار .

صدر برئاسة الجمهورية فى ٢٥ جمادى الأولى سنة ١٣٧٨ — ٦ ديسمبر سنة ١٩٥٨

جمال عبد الناصر

أبو ذر الفاضلي / مكتبتنا العربية

تهنئة وأمل

« إلى فضيلة الأستاذ الكبير وكيل الأزهر »

نشأت في الأزهر فكان وطنك ومسجدك ومدرستك ، فاضت عليك منه الروح الوطنية والقومية العربية ، وأوذيت في سبيل ذلك حينما كانت يد الاستعمار في البلد ذات بطش شديد ، وجمعت إلى ذلك عبادة ربك ونبتلك إليه تبتيلا ، أما مدرسته فقد كان يشع منها نور على نور ، ولا يزال في ازدياد بمزيد من جدك ونشاطك ، وسهرك في التحصيل والدرس ، ولازمك التوفيق حتى لمع اسمك على رأس الناجحين ، وزفها نجمك بين الخريجين فتحملت حينئذ نصيبك من المسئولية في التعليم . فكنت بعقرية في علمك وتعليمك ، ونبراسا في فهمك وتفهيمك ، ومثلا لأبنائك يحتذى في الخلق الكريم .

وكان ولا يزال الدرس عملك بل أحب الأعمال إليك ، إلى أن سعى إليك وأنت فيه هذا المنصب الجليل ، وليس هو بالنسبة إليك بالمنصب الجديد فقد شغلته قرابة عامين ، ولكنك لما رأيت ظلم الظالمين أبيت إلا أن تضحي بمنصبك الغالي في سبيل تمسكك بالمبدأ العالي ـ لا أظلم ولا أتعاون مع الظالمين ـ واستقلت محتفظا بكرامتك ومبادئك .

وكأن الله قد أطلعك على الغيب ، فطهرت نفسك وصفتها من أدران هذه الحقبة السوداء التي مرت بالأزهر فأحالت نهاره الأبيض ليلا ناحم السواد ، وأشاعت فيه الظلم والفساد ، وحسب هذه الحقبة أن أبعد فيها عن الأزهر أبناؤه الغراميامين ، كل ذلك قد كان بعمل المسئولين في الأزهر تارة ويعلمهم تارة أخرى ، إلى ما كان من ضياع العلم ، وضعف الدين في سبيل المنصب الذي نبذهم واستحقوا على هوانه حرمانهم وجزاءهم (إن ربك لبالمرصاد)

أي وكيل الأزهر : لا جديد في منصبك إلا أن الله قد هيأ لك معه اجتماعك مع صديقك الصادق (الشيخ شلتوت) لتتحملا معا المسئولية في الأزهر .

وكلا كما يقدر أخاه ، ويعلم حرصه على نشر العلم غزيرا ، وغيرته على رفعة الدين وعزته ، وتقديره للأزهر ومكانته ، وكلا كما قدير على تحمل أعباء ذلك ، فإلى